# الكنوز الرمضانية

تأليف

**الشيخ السيد مراد سلامة**

إمام وخطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية

المكتبة المرادية

# الكنوز الرمضانية

تأليف

**الشيخ السيد مراد سلامة**

إمام وخطيب و مدرس بوزارة الأوقاف المصرية

المكتبة المرادية

# الكنز الأول: الطاعة لله تعالى ولرسوله

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد، فليس بينه وبين العباد حائل، جعل ما على الأرض زينةً لها، وكل نعيم لامحالة زائل، حذَّر الناس من الشيطان، وللشيطان منافذُ وحبائل، فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيِّسُ العاقل، ومن استسلَم لهواه فذاك الضال الغافل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزَّه عن الشريك وعن الشبيه وعن المشاكل.

مَن للعباد غيره؟ ومن يدبِّر الأمر؟ ومَن يَعدِل المائل؟ مَن يشفي المريض؟ من يرعى الجنين في بطن الحوامل؟

ما أخبار قلبك؟ ماذا في قلبك لربك جل جلاله؟ ماذا في قلبك من محبة الدنيا؟ ماذا في قلبك من خوف ورجاء؟ أما ماذا في قلبك من فتن الشهوات؟

أحبَّتي في الله، كل عام أنتم بخير، حديثنا في هذا اليوم عن الكنز الأول من كنوز رمضان، ألا وهو كنز الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنا وأنتم ونحن معاشر الصائمين استجبنا لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، فصُمنا عندما رأينا الهلال، وكلنا فرحة وسعادة؛ قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: 183-185].

هيَّا أيها الكرام لنرى ماذا بداخل ذلك الكنز من جواهر ثمينة:

✍الجوهرة الأولى: أن الطاعة شرط من شروط الإيمان:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأنفال: 1].

فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن مَن لَمْ يُطع الله ورسوله، فليس بمؤمن، ومن نقَصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه.

✍الجوهرة الثانية: الفوز برحمة الله تعالى:

قال الله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [آل عمران: 132]؛ أي: وأطيعوا الله ورسوله فيما نَهَى عنه من أكل الربا، وما أَمَرا به من الصدقة؛ كي ترحموا في الدنيا بصلاح حال المجتمع، وفي الآخرة بحسن الجزاء على أعمالكم، فهنيئًا لكم معاشر الصائمين؛ لقد أطعتم ربَّكم، واستجبتُم لدعوة نبيكم، فعمتكم الرحمة، فطاعة الله وطاعة رسوله من أسباب حصول الرحمة؛ كما قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 71].

✍الجوهرة الثالثة: المعية الربانية:

ويا لها من جوهرة غالية أن ننال شرف معيَّته، معيةِ التأييد والتوفيق والتسديد؛ قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69].

«قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: "ومَن يُطع الله والرسول"، بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضا بحكمهما، والانتهاء إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه، وفي الآخرة إذا دخل الجنة...»[1]، فعن سعيد بن جبير قال: (جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: يا فلان! ما لي أراك محزونًا؟ قال: يا نبي الله! شيء فكرت فيه، قال: وما هو؟ قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونُجالسك، وغدًا تُرفع مع النبيين فلا نصل إليك، فلم يرد

---

[1] –«تفسير الطبري» (8/ 530 ط التربية والتراث).

النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا، فأتاه جبريل بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فبشَّره)[2].

الجوهرة الرابعة: الحياة الحقيقية:

ومن جواهر الطاعة أن يجد المسلم والمسلمة الحياة الروحية الإيمانية، تلك الحياة الملائكية؛ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الأنفال: 24].

قال ابن القيم – رحمه الله –: «فتضمنت هَذِه الْآيَة أمورًا أَحدهَا أَن الْحَيَاة النافعة إِنَّمَا تحصل بالاستجابة لله وَرَسُوله، فَمن لم تحصل لَهُ هَذِه الاستجابة، فَلَا حَيَاة لَهُ وَإِن كَانَت لَهُ حَيَاة بهيمية مُشْتَرَكَة بَينه وَبَين أرذل الْحَيَوَانَات، فالحياة الْحَقِيقِيَّة الطيبَة هِيَ حَيَاة من اسْتَجَابَ لله وَالرَّسُول ظَاهرًا وَبَاطنًا، فَهَؤُلَاءِ هم الْأَحْيَاء وَإِن مَاتُوا، وَغَيرهم أموات وَإِن كَانُوا أَحيَاء الْأَبدَان، وَلِهَذَا كَانَ أكمل النَّاس حَيَاة أكملهم استجابة لدَعْوَة الرَّسُول، فَإِن كَانَ مَا دَعَا إِلَيْهِ فَفِيهِ الْحَيَاة، فَمن فَاتَهُ جُزْء مِنْهُ فَاتَهُ جُزْء من الْحَيَاة، وَفِيه من الْحَيَاة بِحَسب مَا اسْتَجَابَ للرسول»[3].

الجوهرة الخامسة: الفوز:

وما أعظمها من جوهرة يسعى خلفها الخلق جميعًا، الكل يريد الفوز، ولكن لا ينال تلك الجائزة ولا تلك المكانة، إلا أهل الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ قال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور: 52].

قال السعدي – رحمه الله –: «{فَأُولَئِكَ} الذين جمعوا بين طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، {هُمُ الْفَائِزُونَ} بنجاتهم من العذاب، لتركهم أسبابه، ووصولهم إلى الثواب، لفعلهم أسبابه، فالفوز محصور فيهم، وأما من لم يتصف بوصفهم، فإنه يفوته من الفوز بحسب ما قصر عنه من هذه الأوصاف الحميدة، واشتملت هذه الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول،

---

[2] – أخرجه سعيد بن منصور (661 – تفسير)، وهناد (118)، وابن جرير 7/ 216، وابن المنذر (1974)، والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 131.

[3] –«الفوائد لابن القيم» (ص88).

وهو التعزير والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: {لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: 9]»[4].

وقال جل جلاله: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء: 13، 14].

قال أبو زهرة – رحمه الله –: «أي: إن الميراث حدٌّ رسمه الله تعالى، فمن أطاع الله تعالى فقد فاز فوزًا عظيمًا، وإن ذكر الجنات في هذا المقام له موضعه؛ لأن هذا الذي يترك التوزيع لله تعالى، ويتغلب على هوى نفسه فيمن يحب أو يكره، يجزيه الله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار، وهذا الجزاء هو الفوز العظيم؛ لأن فيه النجاة وفيه النعيم، فمن فعله فقد نال الحسنيين، فإذا كان قد تغلب على منازع الدنيا، فقد نال نعيم الآخرة، ومَن ينظر إلى مآل ماله، عليه أن ينظر قبل كل شيء إلى مآل شخصه»[5].

الجوهرة السادسة: النجاة من نار جهنم والحسرة يوم القيامة:

أخي السلم، ومن جواهر كنز الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم النجاة يوم القيامة من الحسرة والندامة، {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب: 64 – 68].

«بعد أن أَوضح الله ما يصير إليه أمرُ هؤُلاء من عذاب مقيم في جهنم، أَبان جل شأْنه ما يصدر منهم من قول وما يبدو من ندم:

نَدِم البغاة ولاتَ ساعة مَندم = والظلمُ مَرتعُ مَبتغيه وَخيمُ

فيقولون – وقد غيّرت وجوهُهم من حالةٍ قبيحة وسيئة إلى حالة أَقبح وأَسوأ في النار من شدة ما يأْلمون وهول ما يجدون – يقولون ويردِّدون نادمين متحسرين على ما فرط منهم: يا ليتنا استجبنا لله، فآمنا به وأَجبنا داعي الله ورسوله، فصدَّقناه فيما جاءَ به، لو حدث منا هذا ما أَصابنا ما نعانيه من

---

[4] – «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص572).

[5] – «زهرة التفاسير» (3/ 1607).

الهول العظيم والعذاب المهين. وخص – جل شأنه – الوجوه بالذكر، مع أن أجسادهم كذلك؛ لأن الوجوه أعظم الأعضاء مكانة وشرفًا، وذلك فيه ما فيه من الإذلال وتهويل الأمر، وتفظيع الخطب، وتفزيع النفس وترويع القلب»[6].

✍ الجوهرة السابعة: قبول العمل:

اعلَم بارك الله فيك أن من جواهر الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتقبل الله تعالى عملك، ولا يحبط سعيك، فإنَّ الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} [محمد:33].

يقول الإمام الطبري رحمه الله: «يقولُ تعالى ذكرُه: يأيُّها الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِه، أطِيعُوا الله وأطِيعوا الرسولَ في أمرِهما ونهيِهما، {وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}؛ يقولُ: ولا تُبْطِلوا بمعصيتِكم إياهما وكفرِكم بربِّكم ثوابَ أعمالِكم؛ فإن الكفرَ باللَّهِ يُحْبِطُ السالفَ من العملِ الصالحِ»[7].

✍ صور مشرقة من طاعة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم:

✍ قصة خلع النعال:

أخي القارئ، هذه صور مشرقة للطاعة في حياة الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، فحينما خلَع النبي – صلى الله عليه وسلم – نعلَيه في الصلاة خلع الصحابة نِعالهم؛ تأسيًا ومُتابعة له، وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: بينما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُصلِّي بأصحابه؛ إذ خلَع نعليه فوضَعهما على يَساره، فلما رأى ذلك القوم أَلقَوا نِعالهم، فلما قضَى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صلاته، قال: ((ما حملكم على إلقاء نِعالكم؟))، قالوا: رأيناك ألقيتَ نعلَيك فألقَينا نِعالنا، فقال – صلى الله عليه وسلم –: ((إن جبريل – عليه السلام – أتاني فأخبرني أن فيها قذرًا))، أو قال: ((أذى))، وقال: ((إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظرْ فإن رأى في نعلَيه قذرًا أو أذًى، فليَمسحه وليُصلِّ فيهما))[8].

---

[6] –«التفسير الوسيط – مجمع البحوث» (8/ 233).

[7] – «تفسير الطبري» (21/ 225).

[8] – «سنن أبي داود» (1/ 485 ت الأرنؤوط)، وأخرجه الطيالسي (2154)، وابن سعد في "الطبقات" 1/ 480، وابن أبي شيبة 1/ 417 و418، وأحمد (11153) و(11877)، وعبد بن حميد (880)، والدارمي 1/ 230، وأبو يعلى

✍ الصحابة يزجرون أبناءهم:

هذا أثر فيه قوةٌ في زجر الصحابة لمن لا يستجيب لقول الله ورسوله، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لا تَمنعوا إماء الله أن يُصلِّين في المسجد))، فقال ابنٌ له: "إنا لنَمنعهنَّ"، فغضب غضبًا شديدًا، وقال: "أُحدِّثك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتقول: إنا لنَمنعهنَّ؟!"[9].

✍ سرعة الاستجابة من الصحابة: عن أبي مسعود البدري قال: "كنتُ أَضرِب غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا مِن خلفي: ((اعلم أبا مسعود))، فلم أفهم الصوت مِن الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فإذا هو يقول: ((اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود))، قال: فألقيتُ السَّوط من يدي، فقال: ((اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام))، قال: فقلت: لا أَضرِب مملوكًا بعده أبدًا؛ رواه مسلم[10].

✍ الاستجابة في الحجاب:

هذه أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنهما – يَصِفْنَ حال نساء الصحابة – رضي الله عنهن – عند نزول آية الحجاب، انظر رَحِمك الله إلى المسارعة في طاعة الله ورسوله، فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: يَرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لَما أنزَل الله – عز وجل –: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]، شقَقْن أَكثَفَ مُروطِهِنَّ فاختَمرنَ بها؛ رواه أبو داود وعلَّقه البُخاري، وعن أم سلمة –رضي الله عنها – قالت: لَما نزلت: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: 59]، خرَج نساء الأنصار كأن على رؤوسهنَّ الغِربان مِن الأكسية[11].

---

(1194)، وابن خزيمة (1017)، والطحاوي 1/ 511، وابن حبان (2185)، والحاكم 1/ 260، والبيهقي 2/ 402، والبغوي في "شرح السنة" (299)».

[9] – البخاري (865) و(873)، و(5238)، ومسلم (442) (134) و(135) و(137)، والنسائي 2/ 42.

[10] – «مسند أحمد» (28/ 316 ط الرسالة)، «وأخرجه مسلم (1659)، والترمذي (1948).

[11] – البخاري تعليقًا (4758)، وأبو داود (4102).

# الكنز الثاني: صوم رمضان

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال مَلكوته، وتوحَّد بجمال جَبروته، وتعزَّز بعُلوِّ أحديَّته، وتقدَّس بسُموِّ صَمَديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مُضارعة كلِّ نظيرٍ، وتنزَّه في صفائه عن كل تناهٍ وقصورٍ، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، شهادة موقن بتوحيده، مُستجير بحُسن تأييده، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خيرُ الورى ونبيُّهم وبه تَشرَّف آدمُ

وله البها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى مِن نوره يتقسَّمُ

يا فوزَ مَن صلَّى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّمُ

صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّمُ

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسُنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

فأيها الإخوة الأكارم، نقِف اليوم من الكنز الثاني من كنوز رمضان، فهيَّا لنَفتح ذلك الكنز، وكلنا شوقٌ لمعرفة ما فيه والحصول على مجوهراته الغالية.

## الجوهرة الأولى: إن الله يحب الصوم والصائمين:

فنصومه تزلُّفًا وتقربًا إلى الله سبحانه وتعالى، أول الجوهرة أغلاها وأثمنها، وهي محبة الله تعالى للصوم ولعباده الصائمين، فقد أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الله يُحب الصوم، ونحن نُحب ما يُحب ربُّنا؛ عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ

أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ، فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ ( [12].

✍ الجوهرة الثانية: إنه سبيل وطريق الحصول على التقوى:

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثالَ أمر الله واجتنابَ نَهْيه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183].

فمما اشتمَل عليه من التقوى أن الصائم يترك ما حرَّم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسُه، متقربًا بذلك إلى الله، راجيًا بتركها ثوابَه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرِّب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تَهوى نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطِّلاع الله عليه، ومنها: أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يَضعُف نفوذه، وتَقِل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب تَكثُر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجَب له ذلك مواساةَ الفقراء الْمُعدَمين، وهذا من خصال التقوى[13].

فالصوم منهج رباني من خلاله يحقِّق العبد معنى التقوى؛ لأن التقوى هي كما عرَّفها طلق بن حبيب: (التقوى أن تعمَل بطاعة الله على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصيةَ الله على نورٍ من الله مَخافةَ عذاب الله).

✍ الجوهرة الثالثة: الوقاية من فتنة القبر وعذابه:

أيها الإخوة الأكارم، اعلَموا أن من جواهر الصوم أنه حصنٌ مَنيع، إذا دخله العبد فإنه يكون في حماية الله تعالى، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ولقد أمَرنا رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نَستعدَّ لتلك الدار؛ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ، قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ،

---

[12] – صحيح البخاري – (ج 6 / ص 474).

[13] – تفسير السعدي – (ج 1 / ص 86).

قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ: أَيْ إِخْوَانِي، لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا[14].

فاستعدَّ لسفرك، وتأهَّب لرحيلك، وحوِّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعنٌ، إلى المنزل الذي أنت فيه مُقيم، ومن الأمور التي يتحصَّن بها العبد الصيام، وتأمَّل أخي هذا الحديث، روى أبو حاتم في صحيحه القبر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ: الصَّدَقَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ، وَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ: الصَّدَقَةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا مِنْ قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ تَدَنَّتْ مِنْهُ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ، قَالَ: دَعُونِي أُصَلِّي، قَالَ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ، قَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ، مَاذَا تَقُولُ فِيهِ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: أَشْهَدُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيُقَالُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ، وَعَلَى ذَلِكَ مُتَّ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: ذَلِكَ كَانَ مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، وَتُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ تَعَلَّقُ مِنْ شَجَرِ الْجَنَّةِ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ إِلَى مَا بَدَا مِنْهُ مِنَ التُّرَابِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: 27]، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْحَكَمِ: فَيَنَامُ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ[15].

---

[14] – رواه احمد في مسنده ج 4 ص 294، والبخاري في التاريخ وابن ماجه ح 4195، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 1751.

[15] – ابن حبان (3103)؛ قال الألباني: حسن؛ "التعليق الرغيب" (4/ 188 – 189)، "أحكام الجنائز" (198 – 202).

✍ الجوهرة الرابعة: إنه سبيل الرِّي من ظمأ يوم القيامة:

في ذلك اليوم العصيب يوم أن تَدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويأخذ الناس العطشُ، فعندها يحتاج العبد إلى ما يروي ظمأَه، فلن يجد إلى ذلك سبيلًا إلا الصوم؛ يقول ابن القيم رحمه الله: قد جاء فيما يُنجي من عذاب القبر حديث فيه الشفاء: عن عبد الرحمن بن سَمرة قال: خرج علينا رسول الله ونحن في صُفَّةٍ بالمدينة، فقام علينا، فقال: إني رأيت البارحة عجبًا..... ورأيت رجلًا من أُمتي يَلهَث عطشًا، كلما دنا من حوض مُنع وطُرد، فجاءه صيامُ شهر رمضان، فسقاه[16] ).

✍الجوهرة الخامسة: تكفير السيئات محو الخطايا:

فإذا أردت أخي المسلم أن يَغفِر الله لك الذنوب، ويَستُرك ولا يَفضَحك، فعليك بالصوم؛ فإنه يباعد بين المرء وذنوبه، ويَغسِله كما يُغسَل البدنُ بالماء والثلج والبَرد؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ – مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِر [17].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[18].

يقول بدر الدين العيني: (قوله: إيمانًا؛ أي تصديقًا بوجوبه، واحتسابًا؛ أي: طلبًا للأجر في الآخرة، وقال الجوهري: الحِسبة بالكسر: الأجر، احتسبتُ كذا أجرًا عند الله، وقال الخطابي: أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه، طيِّبة نفسُه بذلك، غير مُستثقلة لصيامه، ولا مُستطيلة لإتمامه، وانتصاب إيمانًا على أنه حال بمعنى مؤمنًا، وكذلك احتسابًا بمعنى محتسبًا، ونقَل بعضهم عمن قال منصوبًا على أنه مفعول له، أو تمييز، قلتُ: وجهان بعيدان، والذي له يدٌ في العربية لا ينقل مثل هذا[19].

---

[16] – الروح، [جزء 1 – صفحة 82].

[17] – «مسند أحمد» (15/ 106 ط الرسالة)، «وأخرجه مسلم (233) (16)، والبيهقي 187/10».

[18] – وأخرجه ابن أبي شيبة 2/3، والبخاري (38)، وابن ماجه (1641).

[19] –عمدة القاري ج 10 274.

### الجوهرة السادسة: حصول الأجر بغير حساب:

فالصوم عباد الله مَبناه على الصبر، فهو صبرٌ على الطاعة وصبرٌ عن المعصية، وصبرٌ على أقدار الله تعالى؛ عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ[20] ).

يقول الحافظ قطب الدين القسطلاني رحمه الله: فإن قلت: فما وجه قوله: (إلا الصوم فإنه لي)، والأعمال كلها لله، فما علة تخصيصه له بالإضافة دون غيره؟ قلت: للعلماء فيه عدةٌ من الأقوال: أحدها: معناه أنا العالم بجزائها لمالك له، ولا أُطلعكم عليه كما أَطلعتكم على أن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فجزاء الصائم فوق هذ العدد مما أعلَمه، ولا أُخبركم به، فإن الصيام يَنقُص البدن ويُضعف البنية، بخلاف غيره من أركان الإسلام، فالصائم يعرّض نفسه لما هي كارهة، فكان جزاء عمله فيه معنى الصبر، وقال الله: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

### الجوهرة السابعة: دخول الجنة من باب الريان:

واعلَم أن من جواهر ذلك الكنز أن نَدخل الجنة من باب قد خصَّه الله تعالى بالصائمين، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، والجزاء من جنس العمل؛ عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ [21].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هذَا خَيْرٌ».

---

[20] – صحيح البخاري – (ج 6 / ص 474)، صحيح البخاري – (ج 6 / ص 461).

[21] – وأخرجه ابن أبي شيبة 3/5– 6، والبخاري "1896" في الصوم: باب الريان للصائمين، ومسلم "1152" في الصيام: باب فضل الصوم.

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ هذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [22].

الجوهرة الثامنة: الشفاعة يوم الحسرة والندامة:

واعلَموا عباد الله أن الصيام يكون لصاحبة يوم القيامة شفيعًا بين يدي رب العزة جل جلاله؛ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ) [23].

[22] – مسلم (2/ 711 – 712 رقم 1027)، البخاري (4/ 111 رقم 1897)، وانظر (2841، 3216، 3666).

[23] – أخرجه أحمد 2/ 174 (6626)؛ انظر صَحِيح الجَامِع: 3882, وصَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 984.

# الكنز الثالث: صلاة القيام

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعلوِّ أَحَديَّته، وتقدَّس بسُموِّ صَمَديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مُضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تَناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلْقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، شهادة مُوقن بتوحيده، مُستجير بِحُسن تأييده، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خيرُ الورى ونبيُّهم وبه تَشرَّف آدمُ

وله البَها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى مِن نوره يتقسَّمُ

يا فوزَ مَن صلَّى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّمُ

صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّمُ

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسُنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

فيا أحباب الحبيب المحبوب، حبيب علام الغيوب – صلى الله عليه وسلم – نقف في هذا اليوم الطيب المبارك مع الكنز الثالث من كنوز رمضان، وهذا الكنز مليء بالجواهر والنفائس، فهيَّا معشر الصائمين لنفتح ذلك الكنز؛ لننال ما فيه من مجوهراته ومن نفائسه.

## الجوهرة الأولى: مغفرة الذنوب والخطايا:

وأُولى تلك المجوهرات النفيسة التي لا تقدَّر بمال: مغفرةُ الذنوب والخطايا، فقد روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [24].

قال بدر الدين العيني – رحمه الله –: فيه الدلالة على غُفران ما تقدم من الذنوب بقيام رمضان، ودل الحديث الماضي على غفرانها بقيام ليلة القدر، ولا تعارُض بينهما، فإن كلَّ واحد منهما صالح للتكفير، وقد يقتصر الشخص على قيام ليلة القدر بتوفيق الله له، فيحصل ذلك.

ظاهر الحديث غفران الصغائر والكبائر، وفضل الله واسع، لكن المشهور من مذاهب العلماء في هذا الحديث وشبهه – كحديث غفران الخطايا بالوضوء، وبصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء، ونحوه – أن

---

[24] – أخرجه البخاري (22/1، رقم 37)، ومسلم (523/1، رقم 759).

المراد غفران الصغائر فقط؛ كما في حديث الوضوء: (ما لم يُؤتِ كبيرة) و(ما اجتُنبت الكبائر)، وقال النووي: في التخصيص نظر، لكن أجمعوا على أن الكبائر لا تسقط إلا بالتوبة أو بالحد، فإن قيل: قد ثبت في الصحيح هذا الحديث في قيام رمضان، والآخر في صيامه، والآخر في قيام ليلة القدر، والآخر في صوم عرفة – أنه كفارة سنتين، وفي عاشوراء أنه كفارة سنة، والآخر رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما، والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما، والآخر إذا توضَّأ خرَجت خطايا فيه إلى آخره، والآخر مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ إلى آخره، والآخر مَن وافَق تأمينه تأمينَ الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه، ونحو ذلك، فكيف الجمع بينها؟

أُجيب: إن المراد أن كلَّ واحد من هذه الخصال صالحة لتكفير الصغائر، فإن صادفها كفَّرتها، وإن لم يصادفها، فإن كان فاعلها سليمًا من الصغائر؛ لكونه صغيرًا غير مكلَّف، أو موفقًا لم يَعمَل صغيرة، أو عمِلها وتاب، أو فعلها وعقَّبها بحسنةٍ أَذهَبتها؛ كما قال تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: 114]، فهذا يُكتَب له بها حسنات، ويُرفع له بها درجات، وقال بعض العلماء: ويُرجى أن يُخفف بعض الكبيرة أو الكبائر[25].

### الجوهرة الثانية: قيام الليل سبب للفهم عن الله والتوفيق:

وهذه وصفةٌ ربانية لطالب العلم، والذي يريد التوفيق في حياته العلمية واليومية، فعليه بقيام الليل؛ قال تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل:6]؛ أي: إن قيام الليل أبلغ في الحفظ وأثبت في الخير، وعبادة الليل أشد نشاطًا، وأتم إخلاصًا، وأكثر بركةً.

### الجوهرة الثالثة: قيام الليل دأبُ الصالحين:

أيها الإخوة الأكارم، من عظيم ثمرات الليل: ما جاء في هذا الحديث النبوي الشريف الذي اشتمل على عدة جوائز ربانية؛ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ بِلَالٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ»، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَفْظُهُ: «عَلَيْكُمْ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ وَلَوْ رَكْعَةً وَاحِدَةً»[26].

---

[25] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2/ 123).

[26] – رواه الترمذي (3549)، وابن خزيمة (1135)، والحاكم (1156)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (624).

الجوهرة الرابعة: محبة الله تعالى لأهله واضحة لهم:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ وَيَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ!؟ وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ سِرًّا» [27].

الجوهرة الخامسة: شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن:

وها هي شهادة ضمان يُعطيها الله ورسوله لمن قام بالليل والناس نيام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي أوصاه قائلًا له: أَطِب الكلام، وأَطعِم الطعام، وصِلِ الأرحام، وصَلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخُل الجنة بسلام[28].

وها هي قصور الجنة وغُرفها قد زُيِّنت، وأعدَّها لمن صلى بالليل والناس نيام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعَم الطعام، وألانَ الكلام، وتابَع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام[29].

الجوهرة السادسة: أن الله أعدَّ لهم ما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطَر على قلب بشر:

يقول المولى سبحانه وتعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 16، 17].

---

[27] – أخرجه الحاكم (77/1، رقم 68) والطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم 625.

[28] – جامع الأحاديث – (39 / 323)، وأخرجه أيضًا الديلمي (343/5، رقم 8380)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1019.

[29] – جامع الأحاديث – (9 / 106)، أخرجه أحمد (343/5، رقم 22956)، قال الهيثمي (192/3): رجاله ثقات، وابن خزيمة (306/3، 2136، 2137)، وقال عقبهما: إن صح الخبر، وابن حبان (262/2، رقم 509)، والطبراني (301/3، رقم 3466)، قال الهيثمي (254/2): رجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم123.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سَمِعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17][30].

الجوهرة السابعة: أن الله يباهي بهم الملائكة ويَعجَب مِن صُنعهم:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عجِب ربُّنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته، فيقول ربنا تبارك وتعالى: يا ملائكتي، انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه، ومن بين حبه وأهلة إلى صلاته، رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله عز وجل، وانهزام أصحابه، وعلِم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى أُهريق دمُه، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى أُهريق دمُه [31].

الجوهرة الثامنة: استجابة الدعاء:

عن عقبة بن عامر قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «رَجُلانِ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ أَحَدُهُمَا مِنَ اللَّيْلِ، فَيُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطُّهُورِ وَعَلَيْهِ عُقَدٌ، فَتَوَضَّأَ فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ لِلَّذِينَ وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ، مَا يَسْأَلُنِي عَبْدِي هَذَا فَهُوَ لَهُ» [32].

---

[30] – جامع الأحاديث – (15 / 45)؛ أخرجه أحمد (313/2، رقم 8128)، والبخاري (1185/3، رقم 3072)، ومسلم (2174/4، رقم 2824)، والترمذي (346/5، رقم 3197) وقال: حسن صحيح.

[31] – جامع الأحاديث – (14 / 173)؛ أخرجه أحمد (416/1، رقم 3949)، والطبراني (179/10، رقم 10383)، وابن حبان (297/6، رقم 2557)، والحاكم (123/2، رقم 2531)، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي (164/9، رقم 18305)، وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (179/9، رقم 5272)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 3981.

[32]. جامع الأحاديث – (14 / 307)؛ أخرجه الطبراني (305/17، رقم 843)، وأخرجه أيضًا أحمد (201/4، رقم 17825)؛ قال الهيثمي (224/1): رواه أحمد والطبراني في الكبير، وله سندان عندهما رجال أحدهما ثقات، وقال في (264/2): رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، والروياني (181/1، رقم 237)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (حسن)، ح631.

## الجوهرة التاسعة: شرف القرب من الله تعالى:

فعن عمرو بن عبسة أنه سمع النبي يقول: أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة، فكُن[33]، ويُروى أن داود عليه السلام قال: يا رب، أي وقت أقوم لك، قال: لا تقم أول الليل ولا آخره، ولكن قُم وسط الليل، حتى تَخلو بي وأخلو بك، وارفع إليَّ حوائجك.

وفي الأثر المشهور: كذب مَن ادَّعى مَحبتي، فإذا جنَّ الليل نام عني، أليس كل مُحب يحب خلوة حبيبه، فها أنا ذا مطَّلع على أحبابي، إذا جنَّهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم، فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضور، غدًا أُقِرُّ أعينَ أحبابي في جناني"[34].

يا رجالَ الليل جدُّوا ** رُبَّ داعٍ لا يُرَدُّ
ما يَقوم الليل إلا ** مَن له عزمٌ وجِدُّ
ليس شيءٌ كصلاةٍ ** الليل للقبر يُعَدُّ

وقال آخر:

الليل لي ولأحبابي أُحادثهم *** قد اصطفيتُهم كي يَسمعوا ويَعوا
لهم قلوبٌ بأسراري بها مُلئت *** على ودادي وإرشادي لهم طبعوا
سُرُّوا فما وَهَنوا عجزًا ولا ضعُفوا**وواصلوا حبلَ تَقرُّبي فما تقطَّعوا

## الجوهرة العاشرة: النصر والتمكين في الأرض:

ذكر ابن كثير في تاريخه قول هرقل وهو في أنطاكية، وقد أقبلت الروم منهزمةً: ويْحَكم أخبروني عن القوم الذين يقاتلونكم؛ قالوا: بلي، قال: أنتم أكثر أم هم؟ قالوا: نحن أضعافهم في كل موطن، قال: فما بالكم منهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: أأَصْدُقُك؟ قال: نعم، قال: لأنهم يقومون الليل ويصمون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون فيما بينهم، أما نحن

---

[33] – جامع الأحاديث – (5 / 316)؛ أخرجه الترمذي (569/5، رقم 3579)، والحاكم (453/1، رقم 1162)، وابن خزيمة (182/2، رقم 1147)، والبيهقي (4/3، رقم 4439)؛ قال المناوي (69/2): وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1173، وقال: صحيح.

[34] – نزهة المجالس ومنتخب النفائس – (1 / 109)، إحياء علوم الدين – (1 / 345).

فنشرب الخمر، ونزني ونرتكب الحرام، وننقُض العهد، ونَغصِب، ونأمُر بالصَّخب، ونُفسد في الأرض، قال هرقل: لقد صدَقتني، ولقد أتانا منهم ما لا طاقة لنا بهم [35] ).

عبَّادُ ليلٍ إذا جنَّ الظلام عليهم  كم عابدٍ دَمعُه في الخد أَجراه

وأُسدُ غابٍ إذا نادى الجهادُ بهم  هبُّوا إلى الموت يَستقلون رأياه

الجوهرة الحادية عشرة: ما أعدَّه الله لهم من جنات وعيون:

فها هو الباري جل جلاله يُصوِّر لنا مشهدَ الجزاء لأهل الليل، وأنه أعدَّ لهم جنات وليست جنة، وعيون وليست عينًا، فيقول سبحانه: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: 15 – 18].

تأمَّل هذه الآيات، صورة جميلة لأهل الأسرار في الأسحار، فهم ينامون قليلًا، ويتهجدون كثيرًا، ومع ذلك يستغفرون وكأنهم مجرمون، ولكنه اتِّهام النفس واستصغار العمل، حالهم كما أخبَر عنهم المولى سبحانه: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} [المؤمنون: 60].

قالت عائشة رضي الله عنها: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}: هو الذي يَسرِق ويزني ويَشرَب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؛ قال: لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنه يصلي ويصوم ويتصدَّق وهو يخاف الله عز وجل [36].

فالمخلص لا يرضي بشيءٍ مِن عمله، وفي هذا من الافتقار والانكسار للعزيز الغفار، ما يملأ القلوب سعادةً وانشراحًا، ويَعجِز عن وصفه اللسان.

لبست ثوبَ الرجا والناس قد رقَدوا** وقمتُ أشكو إلى مولاي ما أجدُ

وقلت يا عُدَّتي في كلِّ نائبةٍ ******* ومَن عليه لكشْف الضُّرِّ أَعتمدُ

أَشكو إليك أمورًا أنت تعلَمها ***** مالي على حملها صبرٌ ولا جَلَدُ

وقد مَددت يدي بالذل معترفًا ****** إليك يا خيرَ مَن مُدَّت إليه يدُ

فلا تَرَدَّنَّها يا ربِّ خائبةً ********** فبَحرُ جُودك يروي كلَّ مَن يَرِدُ

---

[35] – تاريخ دمشق، ج 2 ص 97، والبداية والنهاية ج 7 ص 15.

[36] – مسند أحمد ط الرسالة – (42 / 157)، وأخرجه الحميدي (275)، والترمذي (3175)، والطبري في "تفسيره" 33/18، والحاكم 2/393–394، والبيهقي في "الشعب" (762)، وفي "معرفة السنن والآثار" (20854)، والطبراني في "الأوسط" (3977).

# الكنز الرابع: القرآن الكريم(1)

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعلوِّ أَحَديَّته، وتقدَّس بسُموِّ صَمَديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مُضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تَناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلْقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، شهادة مُوقن بتوحيده، مُستجير بِحُسن تأييده.

يا واحدٌ في مُلكه أنت الأحدُ = ولقد علِمت بأنك الفردُ الصَّمَد

لا أنت مولودٌ ولست بوالدٍ كلَّا ولا لك في الوَرى كفوًا أَحد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خيرُ الورى ونبيُّهم وبه تَشرَّف آدمُ

وله البَها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى مِن نوره يتقسَّمُ

يا فوزَ مَن صلَّى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّمُ

صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّمُ

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسُنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

فأخي القارئ الكريم، من كنوز شهر رمضان: كنزُ الكنوز الذي يحتوي على خيري الدنيا والآخرة، إنه القرآن الكريم الذي به تسعد الأمم، وترقى الشعوب، والذي يحتوي على الدرر والمجوهرات التي لا تقدَّر بمال.

### ✍ الجوهرة الأولى: أَقْرأُ القرآن لأنه شفاء:

القرآن الكريم هو الشفاء الناجع والدواء النافع الذي أنزله الله تعالى لشفاء البشرية من أسقامها وأمراضها الحسية والمعنوية؛ قال تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: 82]؛ أخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى

الله عليه وسلم «كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[37].

✍الجوة الثانية: أَقْرأُ القرآن لأن الله تعالى يُفرِّج به الهم، ويُذْهِب به الغموم:

إخوة الإسلام، القرآن الكريم شفاء ودواء ناجع للهموم والغموم، إذا كنت مهمومًا فعليك بقراءة القرآن الكريم، يزيل الله تعالى عنك ما أهمك، ويفرّج كربك؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ, فِي قَبْضَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ عَلَى أَحَدٍ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[38].

✍الجوهرة الثالثة: أَقْرأُ القرآن لأنه سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة:

القرآن الكريم أيها الكرام سببٌ لهدوء النفس، ونزول السكينة على العبد، وغشيان الرحمة وحضور الملائكة، والذكر في الحضرة الإلهية، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هُريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ما اجتَمَعَ قَومٌ في بَيتٍ مِن بُيوت الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارسُونه بينهم، إلا نزلت عليهم السَّكِينة وغَشِيَتهُم الرَّحمَةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذَكَرهُمُ اللهُ فيمَن عندَه"[39].

✍الجوهرة الرابعة: أَقْرأُ القرآن حتى يكون نورًا لي في الدنيا وذخرًا لي في الآخرة:

اعلموا عباد الله أن القرآن الكريم هو نورُكم الذي يضيء لكم في دروب الحياة المظلمة التي أظلمتها الشهوات والمخالفات، وكثرة السيئات؛ فيحتاج المسلم إلى ذلك النور الكاشف عن حقائق الأمور؛ فقد أخرج ابن حبان بسند حسنٍ عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: "قلت: يا رسول الله،

---

[37] –«وأخرجه البخاري (4439)، ومسلم (2192)، وابن ماجه (3528) و(3529)، والنسائي في "الكبرى" (7049) و(7488)».

[38] – المسند 6/ 246 (3712)، ومسند أبي يعلى 9/ 198 (5297)، وصحيح ابن حِبّان 3/ 253 (972). وأخرجه الحاكم 1/ 509) انظر الصَّحِيحَة: 199, صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب.

[39] – أخرجه مسلم (2699)، وابن ماجه (225)، والترمذي (3174).

أوصني، قال: عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، قلت: يا رسول الله، زدني، قال: عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء"[40].

✍الجوهرة الخامسة: أَقْرأُ القرآن حتى يُزاد لي في الإيمان:

فمَن أراد زيادة الإيمان يومًا بعد يوم، فعليه بكتاب الله، فقد قال تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: 2]، وقال تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: 124].

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ، «فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا»[41].

الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.

✍ الجوهرة السادسة: أَقْرأُ القرآن حتى لا أُكْتَب من الغافلين:

أمة الإسلام، من ثمرات قراءة القرآن الكريم أن مَن قام بعشر آيات منه في ليلة، لم يكن من الغافلين؛ فقد رُوي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ"[42].

---

[40] – المنذري في الترغيب والترهيب (2/ 349)، وقال: رواه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل، «صحيح الترغيب والترهيب» (2/ 164).

[41] – «سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط» (1/ 42)، «وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" 2/ 221، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في "السنة" (799) و(825)، والطبراني في "الكبير" (2678)».

[42] – «صحيح ابن حبان» (6/ 311):«وأخرجه أبو داود (1398) في الصلاة: باب تحزيب القرآن، عن أحمد بن صالح، وابن خزيمة (1144)».

✍ الجوهرة السابعة: أَقْرأُ القرآن حتى أتحصَّل على جبال من الحسنات:

فقد أخرج عَن عبد الله بن مَسْعُود رَضِي الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "من قَرَأَ حرفًا من كتاب الله فَلهُ حَسَنَة، والحسنة بِعشر أَمْثَالهَا، لَا أَقُول: الم حرف، وَلَكِن ألف حرف، وَلَام حرف، وَمِيم حرف"[43].

✍الجوهرة الثامنة: أَقْرأُ القرآن لأنه خير من الدنيا وما فيها:

إذا فرِح أهل الدنيا بدنياهم، وأهل المناصب بمناصبهم، وأهل الأموال بأموالهم، فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاعٍ زائل؛ أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟»، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ، يَقْرَؤُهُنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»[44]، وأخرج مسلم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟»، قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُعَلِّمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»[45].

- بُطْحَانَ: موضع بالمدينة، الكَوْمَاءُ: هي العظيمة السنام من الإبل.

---

[43] – أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (216/1)، والترمذي (175/5، رقم 2910) وقال: حسن صحيح غريب. والبيهقي في شعب الإيمان (342/2، رقم 1983)

[44] – أخرجه مسلم (802).

[45] – رواه مسلم رقم (803) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، وأبو داود رقم (1456) في الصلاة، باب في ثواب قراءة القرآن.

✍ الجوهرة التاسعة: أَقْرأُ القرآن حتى تُفتح لي أبوابُ الخير الكثيرة:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ فِي الطَّوَافِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ فَحَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»[46].

وأفضل الناس وخير الناس عند الله، هم حملةُ كتابه العزيز؛ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[47].

✍الجوهرة العاشرة: أَقْرأُ القرآن حتى يُحِبُّني الله – عز وجل – وأكون من أهله:

اجعَل نيَّتك أخي القارئ أن تصل بالقراءة إلى محبة مُنزل القرآن الرحيمِ الرحمن جل جلاله، فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ بِـ{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، فَلَمَّا رَجَعُوا ذكروا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ [48].

فإذا أحبك الله أصبَحت في معيته الخاصة، وصِرت من أهله وخاصته؛ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ"، قَالَ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ، وَخَاصَّتُهُ"[49].

---

[46] – «مسند أحمد» (28/ 320 ط الرسالة):«وأخرجه مسلم (807)».

[47] – «مسند أحمد» (1/ 530 ط الرسالة)، «وأخرجه ابن ماجه (211)، والبزار (396)، والنسائي في " الكبرى " (8073)، والبيهقي في " شعب الإيمان " (2205)»، وأخرجه البخاري (5027) و(5028)، وأبو داود (1452)، والترمذي (3131) و(3132).

[48] – رواه البخاري (7375)، ومسلم (813)، والنسائي 171/ 2).

[49] – «سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط» (1/ 146): «وأخرجه النسائي في "الكبرى" (7977)»

# الكنز الخامس: القرآن الكريم (2)

الحمد لله الذي وفَّق العاملين لطاعته، فوجدوا سعيهم مشكورًا، وحقَّق آمال الآملين برحمة، فمنحهم عطاءً موفورًا، وبسط بِساطَ كرمه للتائبين، فأصبَح وزرُهم مغفورًا، وأسبَل مِن نعمه على الطالبين وابلًا غزيرًا، سبحانه فتح الباب للطلبين، وأظهَر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وحبيبه، الذي سبَّح نفسه بما أولاه من ودِّه، فقال جل وعلا: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: 1].

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا فصلُّوا عليه بكرةً وأصيلَا

مُلئت بنبوَّته الوجود فأظهرا بحسامه الدين الصحيح فأسفَرا

ومن لم يُصلِّ عليه كان بخيلًا فصلُّوا عليه وسلِّموا تسليمَا

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهْجه وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

فحيَّاكم الله أيها الأخوة الأفاضل، وطبتم وطاب ممشاكم، وتبوأتم جميعًا من الجنة منزلًا، وأسأل الله الحليم الكريم جل وعلا الذي جمعني مع حضراتكم في هذا البيت الطيب المبارك على طاعته – أن يجمعنا في الآخرة مع سيد الدعاة المصطفى في جنته ودار مقامته، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

أخي المسلم، أختي المسلمة، ذكرت لكم في اللقاء السابق عشر ثمرات من ثمار تلاوة القرآن الكريم، واليوم نكمل الحديث بإذن الله تعالى.

### الجوهرة الأولى: أَقْرأُ القرآن حتى أكون سببًا في رحمة والدَيَّ:

أخي القارئ، من ثمرات قراءة وحفظ القرآن الكريم أنه يكون سببًا من أسباب رحمة الوالدين؛ قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ صلى الله عليه وسلم، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ يَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا

أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ، لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ قَالَ: فَيُقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذَا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا"[50].

✍ الجوهرة الثانية: أَقْرَأُ القرآن حتى أُحفَظ من الزيغ والضلال:

فقد أخرج الحاكم والترمذي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – خطب الناس في حجة الوداع، فقال: إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد في أرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقِّرون من أعمالكم، فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به، فلن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنة نبيه" [51].

✍ الجوهرة الثالثة: أَقْرَأُ القرآن حتى أنجو من فتنة القبر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سُورَةُ تَبَارَكَ هِيَ الْمَانِعَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[52].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ، فَيُؤْتَى رِجْلَاهُ فَيَقُولَانِ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلَنَا مِنْ سَبِيلٍ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْنَا سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى جَوْفُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ قَدْ كَانَ وَعَى فِيَّ سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ فِيَّ سُورَةَ الْمُلْكِ"، قَالَ عَبْدُ اللهِ: «فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ هَذِهِ سُورَةُ الْمُلْكِ مَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ أَكْثَرَ وَأَطْيَبَ»[53].

---

[50] – «مسند أحمد» (38/ 42 ط الرسالة): «فضائل القرآن" ص 84–85، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (7979)».

[51] – «السنن الكبرى للبيهقي» (10/ 194).

[52] – أخرجه أيضًا: أبو نعيم في الحلية (248/7)،(صحيح) انظر حديث رقم: 3643 في صحيح الجامع.

[53] – «المعجم الكبير للطبراني» (9/ 131)؛ انظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 1475, 1589.

✍ الجوهرة الرابعة: أَقْرأُ القرآن وأحفظه حتى أنجو من عذاب النار:

فالعبد يسعى بكل ما يستطيع؛ لكي ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله تعالى لِمَن حفظ القرآن ابتغاء وجهه ألا تَحرقه النار؛ فقد أخرج البيهقي عن عصمة بن مالك أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " لَوْ جُمِعَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ مَا أَحْرَقَهُ الله بِالنَّارِ"[54].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَلَا تغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ الْمُعَلَّقَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ»[55].

✍ الجوهرة الخامسة: أَقْرأُ القرآن وأحافظ على قراءته حتى يشفع لي يوم القيامة:

معاشر الموحدين، من ثمرات قراءة القرآن الكريم أنه يكون شفيعًا لأهله يوم القيامة؛ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "القرآن مشفع وماحل مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، ومن جعله خلف ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ"[56].

ماحلٌ: ساع، وقيل: خصم مجادل.

إن القرآن عباد الله إما أن ينتفع به صاحبه، فيكون حجة له، وذلك إذا قام به حقَّ القيام، وإما أن لا ينتفع به، فيكون حجة عليه، وذلك إذا لم يقم بحقه، فمن جعل القرآن أمامه مقتديًا به، يمتثل الأوامر ويجتنب النواهي قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه لا يعمل به ساقه إلى النار، والعياذ بالله!

✍ الجوهرة السادسة: أَقْرأُ القرآن وأحفظه حتى يكون سبيلًا لدخول الجَنَّة – إن شاء الله تعالى.

ها هي سروة من سور القرآن الكريم تدافع عن صاحبها حتى تدخله الجنة؛ أخرج الطبراني في "الأوسط" عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ, وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ» [57].

(خاصمت عن صاحبها)؛ أي: حاججت عنه ودافعت، (حتى أدخلته الجنة) بعد منعه عن دخولها.

---

[54] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (555/2، رقم 2700)، (حسن) انظر حديث رقم: 5266 في صحيح الجامع.

[55] – «مسند الدارمي – ت حسين أسد» (4/ 2092)، وأخرجه ابن أبي شيبة (11/ 505، 10128).

[56] – «صحيح ابن حبان» (1/ 332)، (صحيح)؛ انظر حديث رقم: 4443 في صحيح الجامع.

[57] – أخرجه الطبراني في الأوسط (76/4، رقم 3654)، والضياء (114/5، رقم 1738)، وقال: إسناده حسن، وأخرجه أيضًا: الطبراني في الصغير (296/1، رقم 490)، قال الهيثمي (127/7): رجاله رجال الصحيح.

✍ الجوهرة السابعة: أَقْرأُ القرآن وأحفظه حتى أرتقي في أعلى الدرجات في الجَنَّة:

بل يرتقي الإنسان في الجنة بقدر حفظه للقرآن، فعدد درجات الجنة بعدد آي القرآن الكريم؛ فقد أخرج أبو داود والترمذي عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "يقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارقَ ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلكَ عند آخر آية تقرأ بها"[58].

قال ابن حجر الهيثمي كما في "الفتاوى الحديثة" (156): الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها، ولا يتفاوتون قلةً وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوَتت منازلهم في الجَنَّة بحسب تفاوت حِفْظِهم؛ قال أبو سليمان الخطابي في "معالم السنن": جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجَنَّة، فيقال للقارئ: "ارْقَ في الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ في آي القرآن".

فمن استوفى جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجَنَّة في الآخرة، ومَن قرأ جزءًا منه كان رقِيُّه في الدرج على قدر ذلك؛ فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

✍ الجوهرة الثامنة: أَقْرأُ القرآن حتى أكون في أعلى الجنات مع السفرة الكرام:

فحين يَفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوُجهاء والأغنياء، فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله عز جل، وشرَّفَهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة، كما قال رب العالمين في كتابه الكريم: {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس: 13–15].

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَع فيه وهو عليه شاقٌّ، له أجران"[59].

وبعد هذا الشرف والتكريم الذي ناله أهل القرآن، يتَّضح لنا قول الحبيب المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: الثابت في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "

---

[58] – أخرجه ابن أبي شيبة 10/ 498، وأبو داود (1464)، والترمذي (2914)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (111).

[59] – أخرجه عبد الرزاق (491/2، رقم 4194)، والبخاري (1882/4، رقم 4653)، ومسلم (549/1، رقم 798).

لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ"[60].

فهيَّا لنكون من أهل القرآن، وهذه هي التجارة مع الله المضمونة الرابحة، والتي يعطي الله عليها من فضله الكريم وعطائه الذي لا يَنفَد؛ قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 29، 30].

الجوهرة التاسعة: أَقْرأُ القرآن وأحافظ على قراءته حتى لا أُرَدَّ إل أرذل العمر:

فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: "مَن قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التين: 5–6]؛ قال: الذين قرؤوا القرآن"[61].

الجوهرة العاشرة: أَقْرأُ القرآن وأحفظه حتى أحفظ من فتنة الدجال:

يَا مَنْ سَيْنَأَى عَنْ بَنِيهْ... كَمَا نَأَى عَنْهُ أَبُوهُ

مَثِّلْ لِنَفْسَكَ قَوْلَهُمْ... جَاءَ الْيَقِينُ فَوَجِّهُوهْ

وَتَحَلَّلُوا مِنْ ظُلْمِهِ... قَبْلَ الْمَمَاتِ وَحَلِّلُوهْ

فقد أخرج الإمام عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"( [62].

المراد عباد الله أن حفظ هذه الآيات العشر من سورة الكهف يكون عاصمًا من فتنة المسيح الدَّجَّال، الذي يخرج في آخر الزمان مدَّعيًا الألوهية لخوارق تظهر على يديه.

سبب ذلك لما فيها من العجائب والآيات، فمن تدبَّرها لم يفتتن بالدجال؛ أقول: ويمكن أن يقال: إن أولئك الفتية كما عصموا من ذلك الجبار، كذلك يعصم الله القارئ من الجبارين، اللهم اعصِمنا منهم وبدِّد شملَهم.

---

[60] – أخرجه البخاري في صحيحه، في فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن، ح 5025.

[61] – أخرجه ابن أبي شيبة 10/ 486، والطبري 30/ 246).

[62] – أخرجه أحمد (45/ 27542)، ومسلم (809)، وأبو داود (4323)، والنسائي (10721).

# الكنز السادس: التقوى

الحمد لله الذي جعل القرآن هدايةً للمقبلين، وجعل تلاوته بخضوعٍ تهل دمع الخاشعين، وأنزَل فيه من الوعيد ما يَهز به أركان الظالمين، وأخبَر فيه أن الموت نهايةٌ لعالمين، وأننا بعد الموت للحساب مبعوثون، وأننا سنحاسب عما كنا فاعلين، وسنقف بذل وخضوع بين يدي ربِّ العالمين، {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر: 23]، {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ} [إبراهيم: 49]، ليس هناك فرقٌ بين ملك معظَّم وإنسان مهين، هذا جزاء من أخلَص العمل لله ربِّ العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه مِن إله عظيمٍ، أعزَّ الحق وأخرَس المبطلين، سبحانه عددَ ما دعاه عباده المساكين، سبحانه عدد ما انهمَرت دموع المنيبين، سبحانه جوَاد كريم قوي متين!

اعلَم – بارَك الله فيك – أن الغاية المنشودة من فريضة الصوم هي الوصول إلى التقوى، فهي غاية الغايات، الغاية من خلق الجن والإنس هي العبادة؛ قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} [الذاريات: 56، 57].

الغاية من العبادة التقوى؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 21].

### تعريف التقوى:

يقول العلامة ابن القيم رحمة الله: "وأما التقوى، فحقيقتُها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانًا بالأمر، وتصديقًا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي وخوفًا من وعيده؛ قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فأطفِؤوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمَل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله"[63]، وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى.

فإن كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة، حتى يكون مصدرة عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى، ولا طلب المحمدة والجاه، وغير

---

[63] – أخرجه ابن المبارك في الزهد ص 473، وأبو نعيم في الحلية ج 3 ص 64، وسنده صحيح.

ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه مَحضَ الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته والاحتساب، ولهذا كثيرًا ما يُقرَن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا"، "ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا"[64].

"فالتقوى..... حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة، وحذر دائم، وتوقٍّ لأشواك الطريق..... طريق الحياة.... الذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، وأشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يَملِك إجابة رجاء، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًّا"[65].

فالصيام يُورث العبد التقوى؛ كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: 183].

وهذا ما أخبَرنا به النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار"[66]، هيَّا أيها الأحباب لنفتح هذا الكنز الذي هو غاية الغايات.

✍الجورة الأولى: المخرج من كل ضائقة والرزق من حيث لا يحتسب:

فالله تعالى وعد عبادة المتقين بأنه ملاذهم في الأزمات والنكبات، وأنه يفتح لهم الأبواب المغلقة، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (3) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق 2 – 3].

يقول ابن كثير رضي الله عنه: وقال ابن أبي حاتم..... عن عبد الله بن مسعود يقول: إن أجمع آية في القرآن: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ} [النحل: 90]، وإن أكبر آية في القران فرجًا: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}.....

وقال علي بن طلحة عن ابن عباس: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، يقول: ينجيه من كل كربٍ في الدنيا والآخرة، {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}، وقال الربيع بن خثيم: {يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}؛ أي: من كل شيء ضاق على الناس"(1).

---

[64] – أخرجه البخاري رقم 214.

[65] – [في ظلال القرآن (1 / 39)].

[66] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، صحيح الترغيب برقم (980)، وصحيح الجامع برقم (3880).

فتلك هبات الرب إلى العبد، فهو حبيب مَن تحبَّب إليه، فمن تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه زراعًا تقرب منه باعًا، ومن قام إليه مشى الله إليه، ومن مشى إلى الله هرول الله إليه، فسبحانه مِن رَبٍّ قدير، وسبحانه مِن رَبٍّ عليم، هو أقربُ إلى عباده من حبل الوريد، واسمع إلى كلام أولي الألباب: من كانت التقوى لباسهم، وخشية الله شعارهم، وهم يكشفون لنا عن حقيقة الفرج بعد الشدة، وانكشاف الضر والبأساء.

روى ابن أبي الدنيا عن محمد بن إبراهيم قال:

إذا اشتملت على البأس القلوب ** وضاق لما بها الصدرُ الرحيب

وأوطنَت المكاره واطمأنَّت ******** وأرسلت في أماكنها الخطوب

ولم ترَ لانكشاف الضر وجهًا ********** ولا أغنى بِحِيلته الأريب

أَتاك على قنوطٍ مِن غوثٍ ********** يَمُنُّ به اللطيفُ المستجيب

وكل الحادثات إذا تناهَت ********** فموصولٌ بها الفرجُ القريب

وتأمَّل أخي الحبيب تضرُّع أولي الألباب، وانتظارهم الفرج بعد الشدة، والوقوف على باب رب الأرباب.

✍الجوهرة الثانية: محبة الله عز وجل وملائكته والقبول في الأرض:

وهذه من أعظم الأرباح، وأغلى الثمار التي ينالها أُولو الألباب، أن يُحبهم مولاهم جل وعلا، فالأمر ليس هينًا ولا سهلًا، إنما يناله المتقون الذين أيقنوا وآمنوا بالله، وكأنهم يرونه، فأورثهم ذلك محبته سبحانه وتعالى، فليس العجب من قوله: {يُحبونه}، إنما العجب من قوله: {يُحبهم}، يقول سبحانه: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 76].

وتأمَّل ثمرة المحبة؛ كما جاء في الحديث القدسي: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ

اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[67].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ، قَالَ لِجِبْرِيلَ قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا، فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ الْعَبْدَ"، قَالَ مَالِكٌ: «لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي الْبُغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ» [68].

قال مسلم أبو عبد الله: ما تلذَّذ المتقون بشيء في صدورهم ألذ من حب الله عز وجل، ومحبة أهل ذكره.

الجوهرة الثالثة: البركات من السماء والأرض:

اعلَم علَّمني الله وإياك أن الله وعد عباده المتقين، بل وعد الخلق جميعًا، إنهم متى حقَّقوا التقوى أن يفتح عليهم بركات السماء وبركات من الأرض؛ يقول الله سبحانه: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف: 96].

ولكن لَما نبذت الأمة كتاب ربها، وتخلَّت عن منهج نبيها، ولم تحقق الشرط المذكور في الآية، ألا وهو التقوى، أصابهم ما أصابهم من فقرٍ وفاقةٍ، فأصبحنا نشتكي من كثرة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والصحية والعسكرية، وغيرها كثير..... فحق علينا قول ربّنا: {وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

فمن استقام على طريق الإيمان، أقامه الله في مواطن الفلاح، ورزَقه من حيث لا يحتسب؛ يقول سبحانه وتعالى: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن: 16].

---

[67] – أخرجه البخاري "6502" في الرقاق: باب التواضع.

[68] – «مسند أحمد» (16/ 394 ط الرسالة)، «وأخرجه البخاري (3209)».

الجوهرة الرابعة: حفظ الذرية:

واعلم زادك الله حرصًا على الخير – أن من فوائد التقوى تأمين مستقبل الأجيال وحفظهم ورعايتهم من قبل المولى سبحانه وتعالى؛ يقول سبحانه: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9].

يقول القاسمي – رحمه الله –: وفي الآية إشارة إلى إرشاد الذين يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم؛ حتى تُحفَظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى، ويكون في إشعارها تهديدٌ بضياع أولادهم إن فقدوا واتقوا الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف؛ كما في الآية: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف: 82]، فإن الغلامين حُفِظا ببركة صلاحِ أبيهما في أنفسهما ومالهما.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفَظ بالرجل الصالح ولدَه وولد ولده، وقريته التي هو فيها، والدويرات التي حولها، فما يزالون في حفظ الله وستره!

وقال ابن المسيب لابنه: "يا بني، إني لأَزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفَظ، وتلا هذه الآية: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا} [الكهف: 82].

دخل مقاتل بن سليمان على المنصور يوم أن بويع بالخلافة، فقال له المنصور: "عِظني يا مقاتل، فقال أَعظك بما رأيت أم بما سمعت؟ قال بما رأيت، قال: يا أمير المؤمنين، عمر بن عبد العزيز أنجب 11 ولدًا، وترك 18 دينارًا، كُفن بخمسة دينارات، واشتَرى له قبرًا بأربعة دينارات، ووُزِّع الباقي على أولاده 9 / 11 دينار، وأنجب هشام 11 ولدًا أيضًا، وكان نصيب الولد من التركة مليون دينار، وورثت إحدى زوجاته 800000 دينار غير الضياع والقصور، والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت في يوم واحد ولدًا من أولاد عمر يحمل مائة فرس للجهاد في سبيل الله، وولدًا من أولاد هشام يسأل الناس في الطريق، يستجدي!".

✍الجوهرة الخامسة: معية الله تعالى للمتقين:

قال الله – عز وجل –: {وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [البقرة: 194]، وقال – عز وجل –: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ} [النحل: 128]، وهذه معيَّة التوفيق والتسديد، والنصرة، والتأييد، والإعانة، والحماية، كما قال الله – عز وجل – حكاية عن محمد – صلى الله عليه وسلم – وقوله لأبي بكر – رضي الله عنه –: {لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} [التوبة: 40]، وأمَّا المعيَّة العامَّة فهي معيَّة شاملة لكل شيء، بسمعه وبصره وعلمه؛ قال تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: 4].

✍الجوهرة السادسة: حصول البشرى في الدنيا والآخرة:

اعلموا عباد الله أن مِن ثمرات التقوى في الدنيا والأخرة – أنها سبب لحصول البُشرَى في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة أو بمحبَّة الناس له والثناء عليه؛ قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: 63، 64].

قال الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – في قوله تعالى: {لَهُمُ الْبُشْرَى}، قال: «الرُّؤيا الصَّالحة، يراها المسلم أو تُرَى له».

وعن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – أنه قال: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل ويَحمَده الناس عليه، ويثنون عليه به، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «تلك عاجل بُشرَى المؤمن».

✍الجوهرة السابعة: النجاة من هول الصراط ومن نار جهنم:

وفي يوم القيامة تمر الخلائق مِن على الصراط، وكلٌّ يقول: نفسي، نفسي، وشعارهم: اللهم سلِّم، سلِّم، وعندها تظهر ثمرات التقوى، فينجي الله تعال أهلها؛ قال تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: 71، 72]؛ قال ابن كثير: (عن عمرو قال: أخبرني مَن سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، فقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء: 98]، وردوا أم لا؟ وقال: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ} [هود: 98]،

أوردوها أم لا؟ يعني أن قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}؛ أي: إنه لن يبقى أحدٌ من الناس إلا وسيدخل النار، ثم قال ابن عباس لنافع: أما أنا وأنت فسنَدخلها، فانظر: هل تخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مُخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع)؛ ا.هـ.

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن مرة رضي الله عنه قال: (صُمَّتَا – يعني أذنيه – إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إنَّ للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًّا)؛ ا هـ.

الجوهرة الثامنة: الأمن من هول الفزع الأكبر:

في ذلك اليوم العصيب الرهيب يوم الطامة ويوم الصاخة، يُحشر الناس حفاةً عراةً، ويُلقَى الرعب والفزع في قلوب المخلوقات، فترى الناس سكارى وما هم بسكارى، شاب الرضيع، عمَّ الخوف والهلع، لكن هناك طائفة من البشر في أمن وأمانٍ، لا يَفزَعون إذا فزِع الناس، ولا يخافون إذا خاف الناس، إنهم أهل التقوى؛ قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [يونس: 62 – 64].

قال ابن كثير رحمه الله: وأمَّا بُشراهم في الآخرة، فكما قال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: 103].

الجوهرة التاسعة: ميراث الجنة لأهل التقوى، فهم أحق الناس به:

وفي ذلك اليوم يوم الميراث الأعظم؛ حيث يرث أهل الإيمان والتقوى الجنة بما كانوا يعملون؛ قال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: 63]، وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133].

قال أهل التفسير في الآية الأولى: (أي نورثها للمتقين، ونجعلها منزلهم الدائم الذي لا يظعنون عنه، ولا يبغون عنها حولًا؛ كما قال تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ} الآية.

قال تعالى متحدثًا عن أهل الجنة: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]، قال بعض السلف: أهل الجنة نجوا من النار برحمة الله، واقتسموا المنازل، وورثوها بالأعمال الصالحة، وهي من رحمة الله، بل من أعلى أنواع رحمته، وقال تعالى: {الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} [الزخرف: 67، 68] إلى أن قال: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الزخرف: 72].

قال ابن كثير: (ثم قيل لهم – أي لأهل الجنة – على وجه التفضيل والامتنان: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}؛ أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يُدخِلُ أحدًا عملُه الجنةَ، ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات تُنال، ويحصُل تفاوتُها بحسب الأعمال الصالحات، وقال ابن أبي حاتم – بسنده – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرةً، فيقول: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [الزمر: 57]، وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقول: {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف: 43]، فيكون له شكرًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد إلا له منزل في الجنة، ومنزل في النار، فالكافر يرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة، وذلك قوله تعالى: {تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]؛ اهـ.

الجوهرة العاشرة: الأتقياء لا يحشرون إلى الجنة سيرًا على الأقدام، بل يحشرون إليها ركبانًا مكرمين معززين، جعلنا الله منهم:

أيها الأحباب، هذا هو يوم التكريم؛ حيث يُكرم الله تعالى المتقين؛ حيث تتلقاهم النجائب ليركبوهم، والناس في ذلك اليوم في كربٍ شديدٍ مِن هول ما يرونه من أهوال؛ قال تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [مريم: 85].

قال القرطبي: (في الكلام حذفٌ؛ أي: إلى جنة الرحمن ودار كرامته؛ كقوله: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات: 99]، وكما في الخبر: (من كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله)، والوفد اسم للوافدين؛ قال الجوهري: (يقال: وفد فلان على الأمر؛ أي: ورد رسولًا، فهو وافد).

وقال علي: لَما نزَلت هذه الآية، قلت: يا رسول الله، إني رأيت الملوك ووفودهم، فلم أر وفدًا إلا ركبانًا، قال: يا علي، إذا كان المنصرف من بين يدي الله، تلقَّت الملائكة المؤمنين بنوق بيض، رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كلُّ مؤمن حُلة، ثم تسير بهم مراكبهم، فتَهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة، فتتلقَّاهم الملائكة: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} [الزمر: 73].

قال القرطبي: وهذا الخبر ينص على أنهم لا يركبون ولا يلبسون إلا من الموقف، وأما إذا خرجوا من القبور، فمشاة حفاة عراة غُرْلًا إلى الموقف، بدليل حديث ابن عباس قال: (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة، فقال: (يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلي الله حفاة عراة غُرْلًا)[69]، قال ابن عباس: ركبانًا يُؤتون بنوق من الجنة عليها رحائلُ من الذهب، وسروجُها وأَزِمَّتُها من الزَّبرجد، فيُحشرون عليها.

وقال علي: (ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها من ذهب، ونُجب سروجها يواقيتُ، إن همُّوا بها سارت، وإن حرَّكوها طارت)، وقيل: (إنما قال: (وفدًا)؛ لأن من شأن الوفود عند العرب أن يقدموا بالبشارات، وينتظرون الجوائز، فالمتقون ينتظرون العطاء والثواب)[70]؛ اهـ.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: (ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن المتقين الذين كانوا يتقونه في دار الدنيا، بامتثال أمره واجتناب نهيه، يحشرون إليه يوم القيامة في حال كونه وفدًا، والوفد على التحقيق جمع وافد؛ كصاحب وصحب، راكب وركب... والوفد من يأتي إلى الملك مثلًا إلى أمر له شأن، وجمهور المفسرين على أن معنى قوله: (وفدًا)؛ أي ركبانًا، وبعضهم يقول: يُحشرون رُكبانًا على صور من أعمالهم الصالحة في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة) اهـ.

✍الجوهرة الحادية عشرة: منح الأجر مرتين:

اعلموا أنَّ المتقين تُضاعَف أجورهم وحسناتهم؛ كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد: 28]، وكِفلين: يعني أجرين، والله تعالى كريمٌ حليم.

---

[69] أخرجه البخاري ومسلم.

[70] من القرطبي (151/11).

# الكنز السابع: الصبر

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مُقدِّر الأقدار، مُصرِّف الأمور، مُكوِّر الليل على النهار؛ تبصرةً لأولي القلوب والأبصار، الذي أيقَظ مِن خلقه مَن اصطفاه، فأدخلَه في جُملة الأخيار وَفْق مَن اختار مِن عبيده، فجعله من الأبرار، وبصَّر مَن أحبَّه للحقائق، فزهِدوا في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته والتأهُّب لدار القرار، واجتناب ما يُسخطه، والحذر من عذاب النار، وأشهد أنْ لا إله إلا الله إقرارًا بوحدانيته، واعترافًا بما يجب على الخلق كافة من الإذعان لربوبيته.

يا ربِّ إن ذنوبي في الورى كثُرت  وليس لي عملٌ في الحشر يُنجيني

وقد أتيتُك بالتوحيد يَصحَبُه  ****  حبُّ النبي وذاك القدر يكفيني

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.....

أخي المسلم، أختي المسلمة، مِن كنوز شهر رمضان أنه شهر الصبر؛ لأن المسلم يَصبِر ويُصابر على أمور كثيرة سنَذكُرها لك بالتفصيل، والله سماه شهر الصبر، ففي قوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة:45].

قال مجاهد: الصبر الصوم، ومنه سُمي شهر رمضان شهر الصبر، وذلك لأن الصوم يُزهده في الدنيا، والصلاة تُرغِّبه في الآخرة [71].

فاشتمل رمضان على أنواع الصبر كلها؛ قال ابن القيم رحمه الله: (والنفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عما يَضُرُّه، ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به، وثباتُه عليه – أقوى من صبره عما يضره، فيصبر على مشقة الطاعة، ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نُهي عنه، ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات، ومنهم من لا صبرَ له على هذا ولا ذاك، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين، فكثيرٌ من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد، وعلى مشقة الصيام، ولا يَصبِر عن نظرة محرَّمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات إلى الصور، ولا صبر له على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار

---

[71] – تفسير البغوي (1/ 89).

والمنافقين، بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزُه، وأكثرهم لا صبر له على واحد من الأمرين، وأقلهم أصبرهم في الموضعين))؛ اهـ[72].

وقال أيضًا: (فالإنسان منا إذا غلب صبرُه باعثَ الهوى والشهوة، الْتَحق بالملائكة، وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبرَه الْتحَق بالشياطين، وإن غلب باعثُ طبعه من الأكل والشرب والجماع صبرَه، التحق بالبهائم))[73].

قال أهل العلم: الصبر في الآية: الصوم، وهو خيرُ مُعين للعبد في هذه الحياة؛ ليتجاوز كل الحواجز النفسية والحسية التي تَعوقه عن الله والدار الآخرة، التي تعوقه عن معالي الأمور؛ ليصبح عبدًا لله لا عبدًا لشهوته وهواه، إن الإخلاد إلى الأرض والانغماس في الملذات، هو من أعظم المعوقات عن الوصول إلى أعلى الدرجات، وأعلى المقامات في العبادة والبذل والإنفاق، والجهاد في سبيل الله، وأداء ما أوجب الله، وتطهير القلوب وتهذيب السلوك، كل هذا طريقه والسر إلى الوصول إليه، لن يكون إلا من بوابة الصبر، ولا شيء غير الصبر، ومن أُعطي الصبر فقد أُعطي الخير كله، فهو سرٌّ عجيب، وأساس رِفعة الإنسان وتميُّزه عن سائر الحيوان، فلا عجب أن يكون أجره كما قال جل وعلا: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

وقد أمَر الله بالصبر وأثنى على الصابرين، وأخبَر أن لهم المنازل العالية والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أنهم يُوفَّون أجرَهم بغير حساب؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:200]، وقال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة:45]، وقال سبحانه: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:155. 157]، وقال تعالى: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة:177]، وقال عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:153]، وقال تعالى في جزاء الصابرين وأجرهم: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:10].

فصبرُ العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوة إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبرُه أتَمَّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر، فإن من باشَر قلبه الإيمان بقيام الله عليه، ورؤيته له، وتحريمه لما حُرِّم عليه،

---

[72] – عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 37).

[73] – نفس المرجع (ص: 44).

وبُغضه له، ومَقته لفاعله، وباشَر قلبه الإيمان بالثواب والعقاب والجنة والنار، امتنَع من ألا يعمل بموجب هذا العلم [74].

فالصوم يرسِّخ تلك القاعدة الإيمانية التي هي بمنزلة الجُنَّةِ التي تَحمي المجاهد من الأعداء، وهذا ما أوضحه لنا النبي صلى الله عليه وسلم عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أدُّلك على أبواب الخير؟"، قلت: بلى يا رسول الله، قال: "الصومُ جنةٌ، والصدقةُ تطفئُ الخطيئة كما يطفئُ الماءُ النارَ"[75].

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام جُنةٌ وحصنٌ حصين من النار"[76]؛ قال النووي: هو بضم الجيم، ومعناه سُترةٌ ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار، ومنه الْمِجَن وهو التُّرس، ومنه الجنُّ لاستتارهم [77]، وقال ابن الأثير: "معنى كونه جُنة: أي يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات"[78].

وقال العلامة الألباني رحمه الله تعالى: وإنما كان الصوم لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات كما في الحديث الصحيح: "حفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات"[79].

هيا هيا أيها الكرام لنفتح كنز التوبة لنرى ونَقتني ما فيه من مجوهرات:

الجوهرة الأولى: فرح الله بتوبة العبد حين يتوب إليه:

وهذه من أعظم المجوهرات وأنفسِها أن يَنال العبد هذه المنزلة التي يفرَح بها ربُّ العالمين، فلو لم يكن في التوبة سواها، لكان حريًّا بكل عبد أن يقضي أنفاسه في اللهج بالتوبة والاستغفار، إن العطية هي فرح رب البرية؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَلَّهُ

---

[74] –ابن القيم، طريق الهجرتين، ص 275.

[75] – رواه الترمذي في حديث وصححه، وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب برقم (983)، وصحيح الجامع برقم (5136).

[76] – رواه أحمد بإسناد حسن والبيهقي، وقال شيخنا الألباني رحمه الله: حسن لغيره، صحيح الترغيب برقم (980)، وصحيح الجامع برقم (3880).

[77] – شرح النووي (25/8).

[78] – النهاية في غريب الحديث.

[79] – صحيح الترغيب (575/1).

أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» (80).

يقول ابن عثيمين رحمه الله: في هذا الحديث فوائد؛ منها: أنه دليلٌ على فرح الله عز وجل بالتوبة من عبده إذا تاب إليه، وأنه يُحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيمة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا، فالله غني عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم؛ فإنه يحب سبحانه وتعالى يفرح، ويغضب، ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا؛ لأن الله يقول: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: 11]، بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله، ولا يُشبه فرح المخلوقين.

وفيه دليل على أن الإنسان إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرًا سبق لسانُه إليه؛ فإنه لا يؤاخذ، فهذا الرجل قال كلمة كفر (81).

الجوهرة الثانية: إن الله تعالى يحب التوابين:

أيها العاصي، وكل ذلك العاصي، فليس أحد منا معصومًا من الخطأ، تُبْ إلى الله ربّك ومولاك، يُحبّك الله تعالى، ولَمَّا كانت التوبة من أهم مقامات الدين وأعلاها منزلةً، أخبرنا الله تعالى أنه يحب التوابين، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222].

التَّوَّاب: هو المكثر من فعل ما يسمَّى توبةً، وقد يقال: هذا في حقّ الله تعالى؛ من حيث إنه يُكثِرُ من قبول التَّوبة، فإن قيل: ظاهر الآية يدلُّ على أنَّه يحبُّ تكثير التَّوبة مطلقًا، والعقل يدلُّ على أن التَّوبة لا تليق إلاَّ بالمذنب، فمن لم يكن مذنبًا، لا تجب منه التَّوبة، فالجواب من وجهين:

الأول: أن المكلَّف لا يأمن البتَّة من التَّقصير.

والثاني: قال أبو مسلمٍ: التَّوبة في اللُّغة عبارة عن الرُّجوع، ورجوع العبد إلى الله في كلِّ الأحوال محمودٌ.

---

(80) – أخرجه: البخاري 8/84 (6309)، ومسلم 8/93 (2747) (7) و(8).

(81) – شرح رياض الصالحين (1/ 102).

واعترضه القاضي بأن التَّوبة – وإن كانت في أصل اللغة الرُّجوع – إلا أنها في عرف الشَّرع عبارةٌ عن النَّدَم على الفعل الماضي، والتَّرك في الحاضر، والعزم على ألا يفعل مثله في المستقبل، فوجب حمله على المعنى الشَّرعيّ دون اللُّغوي.

ولأبي مسلم أن يُجيب بأن مرادي من هذا الجواب أنه إن أمكن حمل اللَّفظ على التَّوبة الشَّرعيَّة، فقد صحَّ اللَّفظ، وإن تعذَّر ذلك، حملناه على التَّوبة بحسب اللُّغة الأصليَّة [82].

الجوهرة الثالثة: التوبة سبيل الفلاح في الدنيا والآخرة:

اعلَم – زادك الله علمًا وفَهمًا – أن التوبة هي السبيل الموصل إلى الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، وإلا كان العبد مصرًّا على المعصية، يتنزل عليه في الدنيا الخزي والعناء، وفي الآخرة العذاب والنكال؛ قال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور الآية: 31].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وهذه الآية في سورة مدنية خاطَب الله بها أهل الإيمان، وخيار خلقه – أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهِجرتهم وجهادهم، ثم علَّق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي إيذانًا بأنكم إذا تبتُم كنتُم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبين.... جعلنا الله منهم آمين)؛ اهـ[83].

الجوهرة الرابعة: التوبة تكفر السيئات وتكون سببًا في دخول الجنة:

يا كثيرَ الأوزار، هو الله رب العالمين يرغِّبك في التوبة والرجوع؛ ليبدِّل السيئات إلى حسنات، ويرفعك إلى أعالي الدرجات، خفِّف الأوزار، وقِف بباب العزيز الغفار، واهتف وقل: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: 88].

يقول ابن الجوزي رحمه الله: لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار، ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: {يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا} [يوسف: 88] – لبرَز لهم التوقيع عليها: {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: 92].

---

[82] – اللباب في علوم الكتاب (4/ 76).

[83] – مدارج السالكين (1/ 178).

أشكو إلى الله كما قد شكى *** أولادُ يعقوب إلى يوسف

قد مسَّني الضرُّ وأنت الذي*** تعلَم حالي وترى موقفي

بِضاعتي المزجاةُ مُحتاجة********* ***إلى سماحٍ مِن كريمٍ وفي

فقد أتى المسكينُ مُستمطرًا ******جُودَك فارحَم ذُلَّه واعطف

فأَوفِ كَيلي وتصدَّق على ** هذا المقِلّ البائس الأَضعف[84]

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} [التحريم: 8].

قال القرطبي: كأنه قيل: توبوا يوجِب تكفير سيئاتكم، ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار"، وقد وردت أحاديثُ كثيرة تدل على أن التوبة سببٌ في تكفير السيئات؛ منها: ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثًا، غُفر له وإن كان فرَّ من الزحف)[85].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من جلس مجلسًا فكثُر فيه لَغطُه، فقام قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك الله وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك)[86].

الجوهرة الخامسة: إن جميع سيئاتك التي كُتبت عليك مهما كثُرت فهي ستُقلَّب لك حسنات؛

لهذا يقول الله تبارك وتعالى: {فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ} [الفرقان: 70]، ألا يكون ذلك دافعًا لنا جميعًا أن نتوب عن معاصينا؛ حتى تُقلب لنا ملايين السيئات إلى حسنات؟ وإن كان ذلك كذلك، فأبشِروا بالخير يأتِكم من كل جانبٍ، فلو كانت تلك السيئات على المغفرة فقط، لكان ذلك ربحًا عظيمًا، فكيف والأمر يزيد على المغفرة أنها أيضًا تبدَّل إلى حسنات؟ فهنيئًا للتائبين!

---

[84] – لطائف المعارف لابن رجب (ص: 205).

[85] – أخرجه أبو داود (1517) والترمذي (3577) صحيح التعليق الرغيب 269 / 2، صحيح سنن أبي داود 1358

[86] – أخرجه أحمد (369/2)، والترمذي (3433)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (397)؛ صحيح الترغيب والترهيب (101 /2).

الجوهرة السادسة: إن الملائكة الكرام يدعون ويستغفرون للتائبين:

حيث يقول الله تبارك وتعالى عنهم أنهم يقولون: {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} [غافر: 7 – 9]، فللتائبين الاستقرار، والنجاة من النار، ودخول الجنان، والدعاء أيضًا يشمل الآباء والأزواج والذرية.

كلُّ هذا من دعوات الملائكة لك أخي الكريم إذا تبتَ، فهل يفرِّط في تلك المكاسب العظيمة عاقلٌ حصيف بسبب تسويل من الشيطان في معصية يفعَلها أو يقولها؟ واللهِ ثم والله، إن واحدة مما سبَق مِن فرح الله تعالى، وتبديل السيئات إلى حسنات، ودعاء الملائكة – لكافيةٌ في أن يتوب ويرجع، فكيف بها كلِّها مجتمعةً؟!

## الكنز الثامن: كنز المغفرة

الحمد لله الذي نوَّر بجميل هدايته قلوبَ أهل السعادة، وطهَّر بكريم ولايته أفئدةَ الصادقين، فأسكَن فيها ودادَه، ودعاها إلى ما سبَق لها من عنايته، فأقبَلت مُنقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمَده على ما أَولى من فضلٍ وأفادَه، ونشكُره معترفين بأن الشكر منه نعمة مُستفادة، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

أخي المسلم، أختي المسلمة، إن من كنوز رمضان أنه شهر تُغفر فيه الذنوب، وتُغسل فيها الخطايا، فهو نهرٌ واسع لمغفرة الخطايا ورِفعة الدرجات، وأسباب المغفرة كثيرة في رمضان، نذكر منها هدية ربانية ومنحة رحمانية لهذه الأمة.

أخي الكريم، أختي الكريمة، مَن منَّا يَسْلَمُ من الخطأ، أو الوقوع في الزلل، أو مقارفة الذنب، فكلنا ذو خطأ، وخير الخطَّائين التوابون المستغفرون!

مَن ذا الذي ما ساء قَطْ ومَن له الحسنى فَقَطْ

فالباب مَفتوحٌ ولكن مَن يَلِج؟ والحبل ممدود ولكن مَن يتشبَّث؟ الخير مبذول ولكن مَن يتعرَّض؟

عبد الله، مهما بلغت ذنوبك ومعاصيك، فإن الله تعالى يغفرها ويمحوها، فمن صفاته أنه غفور وغفَّار وغافر؛ قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]، وقال تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر: 3].

فلم يَخلقنا الله تعالى ملائكةً بَررةً، ولم يجعلنا شياطين مَردة، فتح لنا أبواب مغفرته ورضوانه، وأخبرنا على لسان صفيه صلى الله عليه وسلم أننا لو لم نُذنب، لاستبدلنا بقوم يذنبون ثم يستغفرون؛ عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالذي نَفسي بيدِهِ، لَو لَم تُذنِبُوا لَذَهَبَ الله بكُمْ، وَلَجَاءَ بقوم يُذْنِبُونَ فيستغفرون، فيغفر لهم»[87].

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربَّه في شهر شعبان

لقد أظلَّك شهرُ الصوم بعدَهما فلا تُصيره أيضًا شهرَ عِصيان

---

[87] – أخرجه أحمد (309/2)، ومسلم (94/9).

واتْلُ القرآنَ وسبّح فيه مجتهدًا فلا تُصيره أيضًا شهرَ عصيان

فاحمِل على جسدٍ تَرجو النجاة له فسوف تُضرَم أجسادٌ بنيران

كم كنتَ تَعرِف ممن صام في سلفٍ مِن بين أهل وجيرانٍ وإخوان

أَفناهم الموتُ واستبقاكَ بعدَهم حيًّا فما أقربَ القاصي من الداني

ومُعجب بثياب العيد يَقطَعُها فأَصبحت في غدٍ أثوابَ أَكفان

### الجوهرة الأولى: جوهرة إدراك شهر رمضان:

فإنه يغفر الذنوب ويُجلِّي القلوب؛ كما أخبرنا حبيب علام الغيوب عن كعب بن عُجرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "احضروا المنبر"، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: "آمين"، فلما ارتقى الدرجة الثانية، قال: "آمين"، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: "آمين"، فلما فرغ نزل من المنبر، قال: فقلنا له: يا رسول الله، لقد سمعنا اليوم منك شيئًا لم نكن نسمَعه، قال: "إن جبريل عليه السلام عرض لي، فقال: بَعُدَ مَن أدرك رمضان فلم يُغفر له، فقلت: آمين، فلما رقيت الثانية، قال: بعُد من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليك، فقلت: آمين، فلما رقيت الثالثة، قال: بعُد من أدرك والديه الكبرَ عنده أو أحدهما، فلم يُدخلاه الجنة – أظنه قال – فقلت: آمين"[88].

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفِّرات ما بينهما إذا اجتنبت الكبائر"[89].

### الجوهرة الثانية: جوهرة التراويح:

صلاة التراويح مكفرة للذنوب؛ كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «كان رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – يُرغِّبُ في قيام رمضان، من غيرِ أن يأمرَهم فيه بعزيمة، فيقول: مَنْ قام رمضانَ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِهِ، فَتُوفِّيَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – والأمرُ على ذلك، ثم كان الأمرُ على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرٍ من خلافة عمر»[90].

---

[88] – أخرجه الطبراني (144/19، رقم 315)، والحاكم (170/4، رقم 7256)، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في شعب الإيمان (215/2، رقم 1572).

[89] – أخرجه مسلم (818/2، رقم 1162)، وأبو داود (321/2، رقم 2425)، والنسائي (208/4، رقم 2387).

[90] – أخرجه البخاري (22/1، رقم 37)، ومسلم (523/1، رقم 759).

### الجوهرة الثالثة: ليلة القدر:

ومن روافد المغفرة في رمضان: الحرص على إدراك ليلة القدر؛ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: ((مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه))؛ متفق عليه[91].

والمعنى أن مَن قامها بالصلاة وسائر أنواع العبادة من قراءةٍ ودعاء وصدقةٍ، وغير ذلك؛ إيمانًا بأن الله شرَع ذلك، واحتسابًا للثواب عنده، لا رياءَ، ولا لغرضٍ آخر من أغراض الدنيا، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه.

### الجوهرة الرابعة: العُمْرة:

فهي مما يُكفِّر الذنوب، ويطهِّر القلوب؛ عن أبي هريرة أن رسول الله قال: "العمرة إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)؛ متفق عليه [92].

والعمرة في رمضان أعظمُ منها في غيره، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((عُمرة في رمضان تَعدِل حجة – أو حجة معي))؛ متفق عليه [93].

ويا له من فوزٍ عظيم أن يكون المعتمرُ في رمضان كمن حجَّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكمن صحِبه في إحرامه وفي طوافه وفي سَعيه، وفي كل مناسكه.

قال المباركفوري – رحمه الله –: قوله: (عمرة في رمضان تعدل حجة) في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يُجزئ عن حج الفرض.

وقال ابن العربي – رحمه الله –: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضلٌ من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها.

وقال ابن الجوزي – رحمه الله –: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب وخلوص المقصد[94].

---

[91] – أخرجه البخاري رقم 214.

[92] – أخرجه مالك (346/1، رقم 767)، وأحمد (462/2، رقم 9949)، والبخاري (629/2، رقم 1683)، ومسلم (983/2، رقم 1349).

[93] – أخرجه أحمد (352/3، رقم 14837)، والبخاري (659/2، رقم 1764)، وابن ماجه (996/2، رقم 2995).

أقوال في الاستغفار:

1 – يُروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: (يا بني، عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا).

2 – قالت عائشة رضي الله عنها: (طُوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا).

3 – قال قتادة: (إن هذا القرآن يَدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دوائكم فالاستغفار).

4 – قال أبو المنهال: (ما جاوَر عبدٌ في قبره من جارٍ أحبَّ من الاستغفار).

5 – قال الحسن: (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة).

6 – قال أعرابي: (مَن أقام في أرضنا فليُكثر من الاستغفار، فإن مع الاستغفار القطار)، والقطار: السحاب العظيم القَطر.

يا ذَا المَعَارِجِ أَنْتَ اللهُ أَسْأَلُهُ وَأَنْتَ يَا رَبِّ مَدْعُوٌّ وَمَسْؤُولُ

أَدْعُوكَ أَدعُوكَ يَا قَيُّومُ فِي ظُلَمٍ وَكُل دَاعٍ بِحُلْوِ النَّوْمِ مَشْغُولُ

تُعْطِي لِمَنْ شِئْتَ مَنْ يَسْأَلْكَ مِنْ سَعَةٍ وَالخَيْرُ مِنْكَ لِمَنْ نَادَاكَ مَبْذُولُ

تَغْفِرْ ذُنُوبِي وَتَخْتُمُ لِي بِخَاتِمَةٍ تُرْضِيكَ عَنِّي وَظَنِّي فِيكَ مَأمُولُ

ولَقَدْ حدث في مصر إن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلًا – في فترة من الفترات – لري أرضه، وكاد الزرع يصبح حطامًا، فجلس الرجل وسط مزرعته الفسيحة، وقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتُ... وقولك الحق: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح: 10، 11]، وها أَنَا ذا يَا رب أستغفرك راجيًا أن تُفيض عَلَيْنَا من رحمتك.

ثُمَّ أخذ في الاستغفار، ومضت ساعات وَهُوَ يتابع الاستغفار في هِمَّة، وَفِي ثقةٍ بموعود الله تعالى، وَإِذَا بالسماء تتلبَّد بالغيوم، وَإِذَا بالمطر ينزل فيَّاضًا مِدرارًا.

ومن المعروف أن الصالحين حينما يُصيبهم ضعفٌ، يلجؤون إِلَى الله باستغفار، فيتحقق لَهُمْ وعدُه: {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} [هود: 52].

---

(94) – تحفة الأحوذي (4/ 7).

# الكنز التاسع: الاستغفار

الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار، القهَّار الذي لا تَخفى معرفته على مَن نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار، القدُّوس الصمد المتعالي عن مشابهة الأغيار، الغني عن جميع الموجودات، فلا تحويه الجهات والأقطار، الكبير الذي تحيَّرت العقول في وصف كبريائه، فلا تُحيط به الأفكار، الواحد الأحد المنفرد بالخلق والاختيار، الحي العليم الذي تساوَى في علمه الجهرُ والإسرار، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

إنَّ الصلاةَ على المختار إن ذُكرت = في مجلس فاح منه الطيبُ إذ نفحا

محمد أحمد المختار من مُضر = أزكى الخلائق جمعًا أفصحُ الفُصحا

صلى عليه إلهُ العرش ثم على = أهليه والصَّحب نعمَ السادةُ النصحا

وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نَهْجه، وتَمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

الجوهرة الأولى: الاستغفار تطهير للقلوب من أدران الذنوب:

أيها الإخوة الكرام، إن أول ثمرات الاستغفار أنها تنقي القلب وتطهره من آثار وأدران الذنوب والمعاصي، فالمعصية لها أثرٌ بليغ على القلب؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14] [95].

قال العلماء: إن الذنوب تُسوِّد القلب، ولا يزال العبد كلما أذنب ذنبًا زادت الظُّلمة وعظُم السواد في قلبه، فأما إذا بادر بعد الذنب بالتوبة والاستغفار، نقي قلبه وهذب ونظِّف.

---

[95] – وأخرجه الترمذي "3334" في التفسير: باب ومن سورة ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ صَحِيح الْجَامِع: 1670، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 1620.

عن قتادة رحمه الله قال: إن القرآن يدلُّكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم، فذنوبكم، وأما دواؤكم، فالاستغفار[96].

وذكروا عن بعض السلف أنه قيل له: كيف أنت في دينك؟ قال: أُمزِّقه بالمعاصي، وأُرَقِّعُه بالاستغفار.

قال ابن القيم رحمه الله: سألتُ شيخ الإسلام ابن تيمية، فقلتُ: يسأل بعض الناس: أيُّما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فانظر يا أخي، كيف نُسوِّد قلوبَنا بمعصية الله عز وجل، ثم لا نطهرها مِن هذا السواد، حتى صرنا لا نستمتعُ بعبادة، ولا نستلذُّ بطاعة!

إننا بحاجة إلى تهذيبِ قلوبنا وتنظيفها مِن وسخ الذنوب، وليس شيءٌ أنقى للقلب وأنظفُ مِن الاستغفار، فإذا تراكمَتِ الذنوبُ في القلب ولم يَعْقُبْها استغفارٌ، أظلم وطُبِع عليه.

هل رأيت إنسانًا يعيش في بيت لا ينظفه؟

هل رأيت إنسانًا لا يغتسل ولا يُنظِّفُ ثيابه؟

عن بكر المُزَني رحمه الله قال: إن أعمال بني آدم تُرفَع، فإذا رُفعت صحيفةٌ فيها استغفار، رُفِعَت بيضاءَ، وإذا رُفِعَت ليس فيها استغفارٌ، رُفِعَت سوداءَ.

الجوهرة الثانية: في المداومة على الاستغفار أمان من العقوبة والعذاب:

أحبَّتي في الله، من ثمرات الاستغفار أنه سبب لدفع البلاء والنقم عن العباد والبلاد، ورفع الفتن والمحن عن الأمم والأفراد، لاسيما إذا صدر ذلك من قلوب موقنة مؤمنة، مخلصة خالصة، ألم يقل الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]، قال أَبو مُوسَى الأشعري رضي الله عنه: قال رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أنزل الله عليَّ أَمانين لأُمَّتي: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}، رُفِعَ أَحَدُهُمَا وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وَبَقِي الآخَرُ: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [[97]].

---

[96] – «مسند أحمد» (32/ 264 ط الرسالة) «صحيح لغيره».

[97] – مسند الإمام أحمد بن حنبل 32/ 264.

### الجوهرة الثالثة: الاستغفار سببٌ لسَعة الرزق:

اعلموا عباد الله أن الاستغفار سببٌ لسَعَة الرزق، ونزول المطر، وكثرة المال؛ قال الله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} [هود: 3].

قال العلماء: {يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا}؛ أي: يُمتِّعكم بالمنافع من سَعَة الرزق ورَغَد العيش، والعافية في الدنيا، ولا يستأصِلكم بالعذاب كما فعَل بمَن أهلَك قبلكم، {إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}، وهو وقت وفاتكم.

وقال نوح عليه السلام: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: 10 – 12].

قال الحسن رضي الله عنه: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة: {يَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: 12].

قال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن البصري الجدب (قلة المطر)، فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر، فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: استغفر الله، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئًا، إن الله تعالى يقول في سورة نوح: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح:10، 11][98].

### الجوهرة الرابعة: السعادة والمتاع الحسن:

معاشر الموحدين، إن من ثمرات الاستغفار السعادة وراحة البال، والمتاع الحسن في الحياة الدنيا؛ قال الله تعالى: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} [هود: 3]، ووصف المتاع بالحسن؛ ليدل على أنه عطاء ليس مشوبًا بالمكدِّرات

---

[98] –(تفسير القرطبي، جـ18، صـ 302)، (فتح الباري، للعسقلاني، جـ11، صـ98).

والمنغِّصات التي تقلق الإنسان في دنياه، وإنما هو عطاء يجعل المؤمن يتمتَّع بنعم الله التي أسبَغها عليه، مع المداومة على شكره سبحانه على هذه النعم[99].

الجوهرة الخامسة: الاستغفار سبب للنجاة مِن عذاب النار:

واعلموا عباد الله أن الاستغفار وقاية من عذاب الله في الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33].

وعن فضالة بن عُبَيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (العبدُ آمنٌ مِن عذاب الله ما استغفَرَ اللهَ)[100].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «خسَفَتِ الشمسُ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فقام فَزِعًا يخشى أن تكونَ الساعةُ، حتى أتى المسجد، فقام يُصلِّي بأطولِ قيامٍ وركوع وسجود، ما رأيته يفعله في صلاة قط، ثم قال: ((إن هذه الآياتِ التي يُرسِلُ اللهُ لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن الله يُرسِلُها يُخوِّف بها عباده، فإذا رأيتُم منها شيئًا، فافزَعوا إلى ذكرِه ودعائه واستغفاره)[101].

ويُذْكَرُ عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: العَجَبُ ممن يَهلِكُ ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار.

وكان رضي الله عنه يقول: ما أَلْهَم اللهُ سبحانه وتعالى عبدًا الاستغفارَ، وهو يريد أن يُعذِّبَه، ففي الاستغفار: دفعُ الكوارث، والسلامةُ مِن الحوادث، والأمنُ مِن الفتن والمِحَن.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا معشرَ النساءِ، تصدَّقْنَ وأكثِرْنَ الاستغفار، فإني رأيتُكن أكثرَ أهل النار)[102].

وتأمَّل في هذا الخبر: عن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله، ابنُ جُدْعَانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحم، ويُطعِم المسكين، فهل ذاك نافِعُه؟ قال: "لا ينفَعُه، إنه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[103].

وعن أبي العالية قال: "إني لأرجو ألَّا يَهلِك عبدٌ بين نعمتينِ؛ نعمة يحمَدُ الله عليها، وذنب يستغفِرُ اللهُ منه".

---

[99] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم 7/ 159.

[100] – أخرجه أحمد (6/ 20) بسند ضعيف، لكن حسَّنه بعض العلماء بشواهده.

[101] – أخرجه البخاري (1059)، ومسلم (912).

[102] – أخرجه مسلم (79).

[103] – أخرجه مسلم (214).

الجوهرة السادسة: الاستغفار سببٌ لرحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة:

إخوة الإيمان، من ثمرات الاستغفار أنه سببٌ من أسباب رحمة الرحيم الرحمن؛ قال صالح عليه السلام لقومه: {يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النمل: 46]؛ فكثرة الاستغفار والتوبةُ مِن أسباب تنزُّل الرحمات الإلهية، والألطافِ الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة.

الجوهرة السابعة: الاستغفار سبب لدخول الجنة:

معاشر الموحدين، متى داوَم العبد على الاستغفار، يكون بذلك قال أخذ شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن؛ قال الله سبحانه: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [آل عمران: 135، 136].

فالصالحون يُخطؤون، لكنهم يبادرون بالاستغفار والتوبة، فأعقَبَهم الله بكثرة استغفارهم جنات النعيم، لقد كان الصالحون مِن كلِّ أمة على هذا الدرب؛ قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: 16، 17]. ذكر ابنُ أبي الدنيا[104] عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز، قال: رأيتُ أبي في النوم بعد موته كأنه في حديقةٍ، فرفع إليَّ تفاحات، فأوَّلتهن بالولد, فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار يا بُنَيَّ.

الجوهرة الثامنة: الاستغفار سبب لرفعة الدرجات:

معاشر الموحدين، من ثمرات الاستغفار رِفعة الدرجات في أعالي الجنات للآباء؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل ليَرفَعُ الدرجةَ للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنَّى لي هذه، فيقول: باستغفارِ ولدِك لك)[105]، فانظر كيف يرفع الاستغفارُ العبدَ المؤمن بعد موته؟

---

[104] – "المنامات" (26).

[105] – سنده حسن: أخرجه أحمد (2/ 509).

فإن كان أحدُ والديك قد تُوفِّي، فاستغفِرْ له كثيرًا، فإن هذا مِن أعظم ما ينفَعه في قبره، ولهذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يأمُرُ أصحابه أن يَستغفروا للميت.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نعى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النجاشيَّ صاحبَ الحبشة يوم الذي مات فيه، فقال: ((استغفروا لأخيكم))[106].

وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا فرَغ مِن دفن الميِّت وقف عليه، فقال: (استغفروا لأخِيكم، وسَلُوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأَل)[107].

الجوهرة التاسعة: الفرح والسرور بصحيفة الأعمال يوم القيامة:

أحبَّتي في الله، هنيئًا لِمَن داوَم على الاستغفار، فجاء يوم القيامة قد ذهبت سيئاتُه هباءً، وتضاعَفَتْ حسناتُه وعظُمَت، فعن عبدِ الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (طُوبَى لِمَن وَجَد في صحيفته استغفارًا كثيرًا)؛ أخرجه ابن ماجه بسند حسن.

وعن الزُّبَير بن العوَّام رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (مَن أحبَّ أن تَسُرَّه صحيفتُه، فليُكثِر فيها مِن الاستغفار)[108].

الجوهرة العاشرة: وعد الله مَن استغفره أن يغفر له سبحانه وتعالى:

قال الله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 82].

وتأمَّل يا أخي، لقد أكد الكلام بإن، واللام، ثم خصَّ ذلك بذاته سبحانه، فقال: "وَإِنِّي"، ولم يقُل جلَّ شأنه: "وإني لغافر"، بل قال "غفَّار"، ليدلَّ على عظيمِ عفوِه، وواسع مغفرتِه، وقال سبحانه: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا} [الإسراء: 25]، وقال سبحانه: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: 110]، وقال سبحانه: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: 64]، وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: 48].

---

[106] – أخرجه البخاري (1327)، ومسلم (951).

[107] – سنده صحيح: أخرجه أبو داود (3221).

[108] – سنده حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط (839).

فإذا مات المسلم الموحِّد، ولم يُشرك بالله شيئًا، فالله سبحانه قد يغفرُ كلَّ ذنوبه مهما عظُمَت، ومَن أشرك باللهِ سبحانه، وعبد معه غيرَه، ثم تاب إليه وأناب، فهو يغفِرُ له أيضًا، وقال الله سبحانه: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 58].

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمُ الَّذِينَ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ،»[109].

قال العلماء: وإنما قال سبحانه جميعًا ها هنا قبل أمره إيَّانا باستغفاره؛ حتى لا يقنَطَ أحدٌ مِن رحمة الله لعظيم ذنب احتقره، ولا لشديد وِزْرٍ قد ارتكبَه، ما أرحمَه وألطفَه جلَّ شأنُه، خلَقنا وهو يعلَمُ أننا سوف نذنب ليلًا ونهارًا، ثم فتح لنا أبواب مغفرتِه، ولم يُقنِّط عبادَه مِن رحمته؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: "أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ» [110].

وتأمَّل في كلامه جل شأنه قال: ((فعلِم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب))، قال العلماء: قدَّم المغفرة على المؤاخذة لكرمه سبحانه، قالوا: "وقوله: ((اعمل ما شئتَ فقد غفرت لك))، لا يدل على إباحة المعاصي، ولا الاجتراء على الله بكثرة الذنوب، وإنما معناه: ما دمت تُذنب ثم تتوب، غفرت لك.

---

[109] – مسلم 1/ 498 (720).

[110] – رواه البخاري 13 / 393 في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: 15] ومسلم رقم (2758).

## الكنز العاشر: كنز الدعاء

الحمد لله لم يزل عليًّا، ولم يزل في علاه سَمِيًّا، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض ريًّا، نظرة من عين رضاه تجعل الكافر وليًّا، الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدًا حبشيًّا، والنار لمن عصاه ولو شريفًا قرشيًّا، أنزل على نبيه ومصطفاه قولًا بهيًّا، {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [مريم: 63].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (69) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 69-71]؛ أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثاتها بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اللهم لا تعذِّب جمعًا التقى فيك ولك، ولا تعذب ألسنًا تُخبر عنك، ولا تعذب قلوبًا تشتاق إلى لذة النظر إلى وجهك الكريم.

أخي المسلم الكريم، الدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية، في الدعاء يجد الداعي لروحه غذاءً، ولنفسه دواءً، يدعم كِيانَها، ويقوّي بنيانَها، ويجعلها تتغلب على كل ما يؤثر فيها، فلا يتسرَّب إليها يأس، ولا يتملَّكها ضعف.

الدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، استغاثة بملهوف بربٍّ رؤوف؛ قال تَعَالَى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: 186].

عَنْ سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا"[111].

---

[111] – أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، 2/ 78، برقم 1488، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن بشار، 5/ 557، برقم 3556، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، 2/ 1271، برقم 3865، وقال ابن حجر: ((سنده جيد))، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، 3/ 179، وفي غيره.

والدعاء عبادة من أجلِّ العبادات وأعظم الطاعات، وأنفع القربات؛ عن النُّعْمانِ بْنِ بشيرٍ رضِي اللَّه عنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: "الدُّعاءُ هوَ العِبَادةُ"[112].

وقال بعض السلف: "نظرت فإذا الخير كله في الطاعة، ثم نظرت فإذا جماع الخير كله في الدعاء".

ومن الكنوز الرمضانية المنحة الربانية التي جاءت على لسان خير البرية، وهي أن الله أعطى كل صائم دعوة لا تُرد؛ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهم: الإمام العادل، والصَّائم حين يُفْطِر، ودعوة المظلوم)) [113].

الحديث دليل على أنَّه ينبغي للصَّائم أن يغتنمَ لحظات الإفطار، وأوقات الإجابة، فيدعو بما أحبَّ من الخير، فإنَّه له دعوةٌ مُستجابة، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنَّ للصائم عند فطره لدعوةً ما تُردُّ))، قال ابن أبي مليكة: سمعت عبدالله بن عمرو يقول إذا أفطر: "اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعتْ كلَّ شيء أن تَغفر لي"[114].

ومِمَّا يُستحبُّ أن يقول عند فطره أيضًا ما رواه عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول إذا أفطر: ((ذهب الظمأ، وابتلَّت العروق، وثَبَت الأجر إن شاء الله)) [115].

فعلى الصائم أن يَغتنم هذا الوقتَ، ويدعوَ بحضور قلبٍ وإيقان بالإجابة في وقت تُرجى فيه الإجابة؛ فإنَّه وقت ذلٍّ وانكِسار بين يَدي الله تعالى مع كونه صائمًا، ويكرِّر الدعاء ثلاثًا، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إن لله عتقاءَ في كل يوم وليلة، لكل عبد منهم دعوة مستجابة))[116]،

---

[112] – أخرجه الترمذي (3372)، والطبري في "التفسير" 24/ 78، والطبراني في "الأوسط" (3901)، وفي "الصغير" (1041)، وفي "الدعاء" (4).

[113] – أخرجه الترمذي (10/ 56)، وابن ماجه (1752)، وقال الترمذي: حديث حسن، والحديث له شواهد يأتي بعضها.

[114] – رواه ابن ماجه (1753)، والحاكم (1/ 422)، وابن السني رقم (481)، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح، ثم ذكر توجيه ذلك، انظر: "الزوائد" ص 254. وضعفه الألباني في "الإرواء" رقم (921)، والحق أن الحديث له ما يؤيده ويشهد له، انظر: "تنبيه القارئ" للشيخ عبدالله الدويش – رحمه الله – ص 78، 79.

[115] – رواه أبو داود (6/ 482)، والبيهقي (4/ 239)، والحاكم (1/ 422)، وابن السني رقم (478)، والدارقطني (2/ 185)، وقال: إسناده حسن.

[116] – رواه أحمد رقم (7443) وإسناده صحيح، وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر عليه عند الرقم المذكور.

وعن أبي أُمامة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لله عند كل فطر عُتقاء)) [117].

فمَن دعا ربَّه بقلبٍ حاضر، ودعاء مشروع، وهو صائم، ولم يَمنع من إجابة الدعاء مانعٌ؛ كأكل الحرام ونحوه – فهو حَرِيٌّ بأن يُجاب؛ لأن الله تعالى قد وعده بالإجابة، خصوصًا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره، واجتناب نواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة؛ قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186]، وعليه أن يُلحَّ في الدعاء وطلب الغفران، فإنه في شهر فاضل، وموسم عظيم من مواسم العبادة.

وعلى الصائم أن يَحذر أن تكون لحظات الإفطار وقتًا للقيل والقال، أو الانشغال بأمور لا تفوت بتأخيرها، فإن هذه دقائق غالية، فلا ترخِّصوها بالغفلة.

ويُشرع للصائم حالَ فطرِه أن يجيب المؤذِّن، فيقول مثل قوله عن كل جملة، إلا في (حي على الصلاة، حي على الفلاح)، فيتابع بقوله: لا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك لعموم قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقول))[118]، وهذا عام في كل الأحوال، إلا ما دلَّ الدليل على استثنائه.

وينبغي للصائم أن يتفرَّغ آخرَ النهار لتلاوة القرآن والذكر والدعاء، ولا يخرج إلا لمهنته، أو لما لا بُدَّ منه، فإنَّ هذا من الأوقات التي ينبغي للصائم اغتنامُها في الطاعة، وعدم إضاعتها هنا أو هناك في مجالسَ لا تنفع، وعليه أن يتحرَّى ساعة الجمعة، وأحراها آخرُ ساعةٍ من النهار، ومن الناس مَن يخرج مِن منزله بعد العصر على عادته لا لحاجة، فيَدَع قراءةَ القرآن وذكْرَ الله تعالى، فيفوته خيرٌ كثير، وفضلٌ جزيل، وقد يؤذِّن المؤذن للإفطار وهو في الطريق إلى منزله، فيأتي ثائرَ النفس، قد أضاع وقت الدعاء، وفوَّت المبادرة بالإفطار.

وينبغي للصائم أن يرطِّب لسانه بذكر الله تعالى ودعائه طوال يوم صومه؛ فإن الصوم يجعله في حالةٍ تُقرِّبه من الله تعالى، وتجعله في مَظِنة الاستجابة لدعائه، فهذا مطلوب طوال النهار، فقد ورد إجابة

---

[117] – أخرجه أحمد (10/ 9 "الفتح الرباني")، قال المنذري: "رواه أحمد بإسناد لا بأس به، والطبراني والبيهقي..."، وصححه الألباني في "صحيح الترغيب" (1/ 491).

[118] – أخرجه البخاري (1/ 90)، ومسلم 383.

دعاء الصائم بلا تقييد بوقت الإفطار، وذلك فيما ورد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((ثلاث دعوات مستجابة: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر))[119].

قال ابن خزيمة –رحمه الله –: "باب ذكر استجابة الله – عزَّ وجل – دعاءَ الصُّوَّام على فطرهم من صيامهم، جعلنا الله منهم"[120]، ثم ساق حديثَ أبي هريرة المتقدِّم بلفظ: ((الصائم حتى يفطر))، وهكذا ساقه ابن حبان [121]، والله أعلم.

اللهم ارزُقنا علمًا نافعًا، وعملًا متقبَّلًا، ورزقًا طيبًا، اللهم أَجِبْ دعاءنا، وحقِّق رجاءنا، واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

[119] – رواه العقيلي في "الضعفاء" (1/ 72)، وأبو مسلم الكجي في "جزئه"، ومن طريقه ابن ماسي في "جزء الأنصاري"، وسنده صحيح، كما ذكر الألباني في "الصحيحة" (4/ 407).

[120] –"صحيح ابن خزيمة" (3/ 199).

[121] –"صحيح ابن حبان" (8/ 215).

# الكنز الحادي عشر: إطعام الطعام

الحمد لله الذي زيَّن قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتب، ولا في أيِّ الفرقين يساق، فإن سامح فبفضله، وإن عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

إخوة الإسلام، معاشر الصائمين، نقف اليوم مع كنز من كنوز رمضان، ألا وهو إفطار الصائمين، فهيا لنفتح ذلك الكنز الغالي الذي ينال به المسلم الأجر:

✍الجوهرة الأولى: الأجر العظيم لمن يفطر صائمًا والثواب دون مشقة أو عناء:

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»[122].

هذا الحديث الشريف يحمل بشارة عظيمة لكل مَن يسهم في إفطار صائم في الحرم، فأنت تحصُل على أجر الصيام كاملًا دون أن ينقص من أجر الصائم شيء، إنها معادلة ربانية رائعة؛ حيث يربح الجميع، ولا يخسر أحدٌ.

✍الجوهرة الثانية: مغفرة الذنوب وعتق من النار:

عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ، فَقَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْف شَهْرٍ، جَعَلَ اللهُ صِيَامَهُ فَرِيضَةً، وَقِيَامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَنْ تَقَرَّبَ فيه بخَصْلَةٍ مِنَ الخَيْرِ، كَانَ كَمَنْ أَدَّى فَرِيضَةً فِيما سِوَاهُ، وَهُوَ شَهْرُ الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ ثَوابُهُ الْجَنَّةُ، وَشَهْرُ المُواسَاةِ، وَشَهْرٌ يُزَادُ فِيهِ فِي رِزْقِ الْمُؤْمِنِ، مَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ"[123].

---

[122] – وأخرجه ابن ماجه (1746)، والنسائي في "الكبرى" (3330) و(3331)، وهو في "المسند" (17033)، و"صحيح ابن حبان" (3429).

[123] – أخرجه ابن خزيمة (191/3، رقم 1887)، والبيهقي في شعب الإيمان (305/3، رقم 3608)، وأخرجه أيضًا: الحارث كما في بغية الباحث (412/1، رقم 321).

هذا الفضل العظيم يجعل من عمل إفطار صائم في الحرم فرصةً ذهبية لمحو الذنوب والخطايا.

✍الجوهرة الثالثة: دعاء الملائكة للمحسنين:

عن حَبِيبِ بن زَيْدٍ قال: سَمِعْتُ مَوْلاةً لَنا، يُقالُ لها: لَيْلى، تُحَدِّثُ عن جدتِهِ أُمَّ عُمَارةَ ابنة كَعْبٍ الأنْصارِيَّة: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم دَخلَ عَلَيْها فَقَدَّمتْ إلَيْه طَعَامًا، فقال: "كُلي"، فقالت: إنِّي صائِمةٌ، فقال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الملائِكةُ، إذ أُكِلَ عِنْدَهُ حتَّى يَفْرُغُوا"، وَرُبَّما قال: "حتَّى يَشْبَعُوا"[124].

✍الجوهرة الرابعة: محبة الله تعالى:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عز وجل أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَضَبَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَخَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَتَهَيَّأَ لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ"[125].

✍الجوهرة الخامسة: أن إطعام الطعام أفضل الأعمال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تُدْخِلَ عَلَى أَخِيكَ الْمُسْلِمِ سُرُورًا، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْعِمَهُ خُبْزًا»[126].

---

[124] – أخرجه: ابن ماجه (1748)، والترمذي (785)، والنسائي في «الكبرى» (3267)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» على أنَّ سند الحديث ضعيف".

[125] – المعجم الكبير (13646)، واللفظ له، تاريخ دمشق لابن عساكر (64/ 17)، قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (36)، تعليق الألباني "حسن"، صحيح الجامع (176)، الصحيحة (906).

[126] – أخرجه ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" (172)، وفي "اصطناع المعروف" (172)، وابن لال في "الغرائب الملتقطة" (394)، والطبراني في "مكارم الأخلاق" (91)، وابن شاهين في "الترغيب في فضائل الأعمال" (374)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (7273) السلسلة الصحيحة رقم (٢٧١٥).

### الجوهرة السادسة: إطعام الطعام وبذله من أسباب دخول الجنة:

واعلم – بارك الله فيك – أن من جواهر إطعام الطعام، أنه سبب من أسباب دخول الجنة، ولقد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها المدينة؛ عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ، لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[127].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «أَفْشِ السَّلَامَ وَأَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَصِلِ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، وَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ"[128].

### رمضان مضمار للمواساة:

ورمضان شهر المواساة، وإدخال الفرحة والبهجة على الفقراء والمساكين، وكذلك المرضى والمحتاجين، ولقد حثنا النبي صلى الله عليه وسلم على إفطار الصائمين، ورتَّب على ذلك الأجر والثواب من الكريم الوهاب؛ عن زيد بن خالد الجهني قال: قال صلى الله عليه وسلم: "مَن فطَّر صائمًا كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء"[129].

والأجر الذي للمفطِّر إنما هو لمن أشبَع لا لمن ابتدأ بالإطعام، فليس من قدَّم تمرة كمن ذبَح شاة وأطعم خبزًا؛

---

[127] – أخرجه الترمذي، وابن ماجه رقم (١٣٣٥٣٢٥١) وغيرهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل تحت الحديث رقم (٧٧)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٥٦٩).

[128] – أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٥)، والحاكم (٤/ ١٩٢)، قال الألباني رحمه الله: "قلت: وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير أبي ميمونة، وهو ثقة.

[129] – رواه الترمذي (807) وابن ماجه (1746)، وصححه ابن حبان (8 / 216)، والألباني في " صحيح الجامع " (6415).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والمراد بتفطيره: أن يُشبعه[130].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعَمه، ومن سقى لله سقاه، ومن عمل لله أغناه الله[131].

*وقال أبو السَّوَّار العدويُّ: (كان رجالٌ مِن بني عدي يصلُّون في هذا المسجد، ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ قطُّ وحده، إن وجد مَن يأكل معه أكل، وإلَّا أخرج طعامه إلى المسجد، فأكله مع النَّاس، وأكل النَّاس معه)[132].

قال الذهبي: قيل: كانت لأبي بَرزة الأسلمي جَفنة من ثريد غدوةً، وجَفنة عشيَّة للأرامل واليتامى والمساكين)[133].

عن يعقوب بن شيبة قال: أظلَّ عيد من الأعياد رجلًا – يومئ إلى أنه من أهل عصره – وعنده مائة دينار، لا يملك سواها، فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظلَّنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه، فجعل المائة دينار في صرَّة، وختمها، وأنفذها إليه، فلم تلبث الصرَّة عند الرجل إلا يسيرًا، حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضاقته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجَّه بالصرة إليه بخَتْمها، وبقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرَّة بخاتمها، فلما عادت إليه صرَّته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، ومعه الصرَّة، وقال له: ما شأن هذه الصرَّة التي أنفذتها إليَّ، فقال له: إنَّه أظلَّنا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا أستدعي منه ما نُنفقه، فأنفذ إليَّ هذه الصرَّة، فلما وردت رقعتك عليها، أنفذتها إليك، فقال له: قُم بنا إليه، فركبا جميعًا إلى الثاني، ومعهما الصرَّة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها، فاقتسموها أثلاثًا، قال أبو الحسن: قال لي أبي: والثلاثة: يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزيادي القاضي، وأُنسيت أنا الثالث[134].

---

[130] – " الفتاوى الكبرى " (4 / 460).

[131] – [موسوعة ابن أبي الدنيا 4/ 165].

[132] – الكرم والجود وسخاء النفوس – البرجلاني (ص: 53).

[133] – نزهة الفضلاء 1/ 216.

[134] – تاريخ بغداد للخطيب 282/14.

# الكنز الثاني عشر: كنز الحوقلة

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تَخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمَر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همسَ الأصوات وحسَّ دهس الخطوات في وعس الرمال، ويرى حركة الذر في جانب البر، وما درج في البحر عند تلاطُم الأمواج، وتراكُم الأهوال، أفلا يستحيي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك مَن وفَّق من شاء لخدمته، فشتان ما بين رجال ورجال.

عبد الله، يا مسكين:

يا غافلًا والجليل يَحرسه  من كل سوء يدبُّ في الظلمِ

كيف تنام العيون عن ملك  تأتيه منه فوائد النعمِ

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

ماذا يقول المادحون وما عسى  أن تجمع الكتاب من معناكَ

صلى عليك الله يا علمَ الهدى  ما اشتاق مشتاقٌ إلى رُؤياكَ

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

إخوة الإسلام، نقف اليوم مع كنز من الكنز الثمينة التي أرشدنا إليها صلى الله عليه وسلم، إنه كنز من كنوز الجنة، هيَّا لنتعرف على ذلك الكنز، وما فيه من جواهر، إنها الحوقلة؛ فما الحوقة؟

الحوقلة كلمةٌ منحوتة من "لا حول ولا قوة إلا بالله"، وهذا الباب سماعي، وهو من الفعل الرباعي المجرد كما هو مقررٌ في كتب الصرف.

معنى ((لا حول ولا قوة إلاّ بالله)):

الحول: هو التحرك، يقال: حال الرجل في متن فرسه يحول حولًا وحؤُولًا: إذا وثب عليه، وحال الشخص: إذا تحرك، وكذلك كلُّ متحول عن حاله.

والقوة: هي الشدة وخلاف الضعف، يقال: قوي الرجل، كرضي، فهو قويٌّ وتَقوَّى واقتوى؛ أي: صار ذا شدَّة، وقوَّاه الله؛ أي: أعطاه القوة، وهي الشدَّة وعدم الضعف.

فمعنى لا حول ولا قوة إلا بالله؛ أي: لا تحول من حال إلى حال، ولا حصول قوة للعبد على القيام بأيِّ أمر من الأمور، إلا بالله، أي: إلا بعونه وتوفيقه وتسديده، وقد ورد في بيان معنى هذه الكلمة وتوضيح المراد بها عن السلف وأهل العلم نقولٌ عديدة من ذلك:

* قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ((لا حول ولا قوة إلاّ بالله))؛ أي: ((لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله)) [135].

* وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال في معناها: ((لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلا بمعونته))[136].

* وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معناها: ((أنا لا نَملك مع الله شيئًا، ولا نملك من دونه، ولا نملك إلا ما ملكنا مما هو أملك به منا))[137].

جواهر ونفائس الحوقلة:

الجوهرة الأولى: أنها كنزٌ من كنوزِ الجنَّة:

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر، أشْرَفَ الناس على وادٍ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قريبًا، وهو معكم))، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُول فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فقال لي: ((يا عبدَاللهِ بنَ قَيْسٍ: أَلا أَدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟))، فقُلْتُ: بَلَى يا رسولَ اللهِ، قالَ: ((قُلْ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ))[138].

---

[135] – أورده السيوطي في الدر المنثور (5 / 393).

[136] – ذكره النووي في شرحه لصحيح مسلم (13 / 26).

[137] – ذكره ابن علان في الفتوحات الربانية (1 / 242).

[138] – صحيح البخاري (رقم: 4205، 6384)، وصحيح مسلم (رقم: 2704).

والكنز: كما قال النووي رحمه الله: "ثواب مدخرٌ في الجنة، وهو ثوابٌ نفيسٌ، كما أنَّ الكنز أنفس أموالكم"[139]، وقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابن تيمية رحمه الله: "وَالْكَنْزُ مَالٌ مُجْتَمِعٌ لَا يَحْتَاجُ إلَى جَمْعٍ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوَكُّلَ وَالِافْتِقَارَ إلَى اللهِ تَعَالَى، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ يُوْجِبُ الِاسْتِعَانَةَ"[140].

الجوهرة الثانية: أنها بابٌ من أبواب الْجَنَّةِ:

عن قيسِ بنِ سعد رضي الله عنه قالَ: مَرَّ بِيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقدْ صَلَّيْتُ فَضرَبَنِي برِجْلِهِ، وقالَ: ((أَلا أَدُلُّكَ على بابٍ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ؟))، قُلْتُ: بَلَى؟ قالَ: ((لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ))[141].

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟))، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: ((لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))[142].

الجوهرة الثالثة: أنها غِراسُ الْجَنَّة:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ على إبراهيمَ، فقالَ: مَنْ مَعَكَ يا جِبْرِيلُ؟ قالَ: هذا محمَّدٌ، فقالَ لهُ إبراهيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجنَّةِ؛ فإنَّ تُرْبَتَها طَيِّبَةٌ، وأَرْضَهَا واسِعَةٌ، قالَ: وما غِرَاسُ الجنَّةِ؟ قالَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ[143].

وفي راوية: ((أَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثِرُو، مِنْ غِرَاسِهَا))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا غِرَاسُهَا؟ قَالَ: ((مَا شَاءَ اللهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))[144].

الجوهرة الرابعة: ثناءُ الله تعالى على قائلها والشهادةُ له بالإسلام:

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((أَلا أَدُلُّكَ على كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الجنَّةِ؟ تقولُ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِي واسْتَسْلَمَ))[145].

---

(139) – «شرح النووي على مسلم» (17/ 26).

(140) – «الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالتها العقدية» (ص75).

(141) –المسند (3 / 422)، والمستدرك (4 / 290)، وانظر: الصحيحة (4 / 35 – 37).

(142) – «مسند أحمد» (36/ 321 ط الرسالة)، «وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (357)».

(143) –المسند (2 /333)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (رقم: 1528).

(144) –المسند (2 /333)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (رقم: 1528).

الجوهرة الخامسة: تكفيرها للذنوب وإن كانت أكثر مِن زبد البحر:

فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ))[146].

الجوهرة السادسة: أنها الباقياتِ الصالحات التي قال عنها الله تعالى: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا} [الكهف: 46]، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ))، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ))[147].

الجوهرة السابعة: أن مَنْ قَالَهَا مَلَأَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ:

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، قَالَ: ((قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا لِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي))، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ))[148].

---

[145] –أخرجه النسائي في «الكبرى» (9757 – ط الرسالة)، والطيالسي (2494)، وأحمد (2/ 298، 335، 355، 363، 403).

[146] – «مسند أحمد» (11/ 15 ط الرسالة)، «وأخرجه الترمذي (3460) أيضًا، والنسائي في "عمل اليوم الليلة" (124) و(822)».

[147] – «مسند أحمد» (18/ 241 ط الرسالة)، وأخرجه الطبراني في "الدعاء" (1696)، والبغوي في "شرح السنة" (1282) م».

[148] – أخرجه أحمد (19110)، وأبو داود (832) من طريق وكيع به وعبد بن حميد (523 – منتخب) من طريق الثوري به، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (742).

# الكنز الثالث عشر: الصلة

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تَخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمَر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همسَ الأصوات وحسَّ دهس الخطوات في وعس الرمال، ويرى حركة الذر في جانب البر، وما درج في البحر عند تلاطُم الأمواج، وتراكُم الأهوال، أفلا يستحيي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك مَن وفَّق من شاء لخدمته، فشتان ما بين رجال ورجال.

عبد الله، يا مسكين:

يا غافلًا والجليل يَحرسه = من كل سوء يدبُّ في الظلمِ

كيف تنام العيون عن ملك = تأتيه منه فوائد النعمِ

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

ماذا يقول المادحون وما عسى أن تجمع الكتاب من معناكَ

صلى عليك الله يا علمَ الهدى ما اشتاق مشتاقٌ إلى رُؤياكَ

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

## الجوهرة الأولى: السعة في الأرزاق والبركة في الأعمار:

اعلَم علَّمني الله تعالى وإياك أن من أسباب السعة في الرزق والبركة في العمر – صلة الأرحام، وهذا هو موعود الله تعالى لمن وصلها؛ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[149]؛ ينسأ له في أثره؛ أي: يؤخَّر له في أجله، وبسط الرزق: توسيعه وكثرته، وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل، فقيل: هذه الزيادة

---

[149] – أخرجه البخاري في الصحيح 3/ 119 كتاب البيوع باب من أحب البسط ... حديث رقم 2067، 8/ 8 كتاب الأدب باب من بسط له.. حديث (5985)، ومسلم في الصحيح 4/ 1982 كتاب البر والصلة والآداب (45)، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (6) حديث رقم (20/ 2557).

بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، ورجحه النووي.

وقيل: إن التأجيل في العمر بالنسبة لما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ, ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علِم الله عز وجل ما سيقع من ذلك وهو من معنى قوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: 39].

فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة، بل هي مستحيلة، وبالنسبة لما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة، وهو مراد الحديث، وقيل: إن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، حكاه القاضي، وهو ضعيف أو باطل، والله أعلم[150].

عَن عَائِشَة رضي الله عنها أَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: إِنَّه من أعطي حَظَّه من الرِّفْق، فقد أعطي حَظه من خير الدُّنْيَا وَالْآخِرَة وصلَة الرَّحِم، وَحسن الْجوَار أَو حسن الْخلق، يَعمُرَانِ الديار، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَار» [151].

فكم رأينا من أناس يعيشون في سعة وفي بركة في الأوقات، فإذا بحثت عن سر ذلك تبيَّن لك أنهم من أوصل الناس إلى أرحامهم.

✍الجوهرة الثانية: صلة الأرحام من أول الأمور المهمة التي دعا إليها النبي – صلى الله عليه وسلم – في أول بعثته، وها هو صلى الله عليه وسلم يبيّن ذلك عند أول لحظة من دخوله المدينة المنورة؛ عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ، لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[152].

---

[150] – شرح النووي على صحيح مسلم (350/16).

[151] – (حم) 25298، الصَّحِيحَة: 519، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 2524، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[152] – أخرجه الترمذي، وابن ماجه رقم (١٣٣٥٣٢٥١) وغيرهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل تحت الحديث رقم (٧٧)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٥٦٩).

### الجوهرة الثالثة: التوفيق والسداد والبعد عن الخذلان:

فقد استدلت السيدة الرشيدة خديجة رضي الله عنها على حماية وتوفيق الله تعالى لنبيه بأفعاله الكريمة التي منها صلة الرحم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أوصل الناس لرحمه؛ كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها له: ((...فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتَ بِهِ خَدِيجَةُ...))؛ (متفق عليه) [153].

### الجوهرة الرابعة: صلة الأرحام شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن:

إذا أردت أن يكون معك شهادة ضمان لدخول جنة عرضها السماوات والأرض، فعليك بالوصفة النبوية؛ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» [154].

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)) [155].

### الجوهرة الخامسة: صلة الأرحام من أحب الأعمال عند الكبير المتعال:

واعلم أنك لن تصل إلى محبة الله إلا بطاعته، ومحبة ما يحب جل جلاله؛ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ خَثْعَمَ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ

---

[153] – أخرجه البخاري في: 1 كتاب بدء الوحي: 3 باب حدثنا يحيى ابن بكير

[154] – أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (49)، ومسلم (13) (12)، وأبو عوانة (3)، والشاشي في "مسنده" (1124 – 1127).

[155] – أخرجه الترمذي، وابن ماجه رقم (١٣٣٥٣٢٥١) وغيرهما، وصححه الألباني في إرواء الغليل تحت الحديث رقم (٧٧)، وهو في السلسلة الصحيحة رقم (٥٦٩).

بِاللَّهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الأَمْرُ بِالْمُنْكَرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعْرُوفِ» [156].

الجوهرة السادسة: إعانة الله الواصل على من قطعه:

أخي المسلم، إذا أردت أن يكون الله تعالى في عونك وناصرك، وحاميك ممن ظلمك من ذوي أرحامك، فعليك بصلة من قطعك؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيؤُونَ إِلَيَّ، وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ، قَالَ: «لَئِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ كَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»؛ (مسلم) [157]؛ أي: إن كنت كما قلت: إنك تصلهم وهم يقطعونك، وتُحسن إليهم وهم يسيؤون إليك، وتحلم عن جهلهم وعن سخطهم وعن شتمهم، وهم يجهلون ويسيؤون إليك؛ فكأنك تحط في فم هؤلاء الرماد الحار، ولا شيء عليك؛ لأنك تحسن إليهم؛ فلا تدع فرصة لهؤلاء أن يقولوا عنك: إنك قاطع للرحم، ولا تضيع على نفسك ثوابًا عند الله تبارك وتعالى، فالمفترض في الإنسان المسلم أن يتعامل مع الله سبحانه ولم ينتظر إلى إحسان الناس.

الجوهرة السابعة: صلة الأرحام علامة من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر:

إخوة الإسلام، للإيمان دلائلُ وبراهينُ تدل على مدى إيمان صاحبه، ومن تلك الدلائل صلة الأرحام؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»؛ متفق عليه) [158].

الجوهرة الثامنة: صلة الرحم من صفات أصحاب أولي الألباب:

الذين وعدهم الله تعالى بجنته ودار كرامته؛ قال الله تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} [الرعد: 19 – 21]،

---

[156] – أبو يعلى (229/12) (6839)، صَحِيح الْجَامِع: 166، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب:

[157] – أخرجه مسلم (1982/4، رقم 2558)، وابن حبان (195/2، رقم 450).

[158] – أخرجه: البخاري 8/ 39 (6138)، ومسلم 1/ 49 (47) (74).

قال ابن كثير رحمه الله: ((وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ)): من صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف)).

✍الجوهرة التاسعة: الصدقة على ذي الرحم اثنتان:

اعلموا أن الصدقة تضاعف لمن وصل رحمه؛ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ"[159].

[159] – مسلم: (2/ 694 –695) (12) كتاب الزكاة (14) باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين –رقم (45).

## الكنز الرابع عشر: الصدقة

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعُلو أَحَديَّته، وتقدَّس بسمو صمَديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقِّه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلْقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مُستجير بحسن تأييده.

يا واحدٌ في ملكه أنت الأحدُ ولقد علمتُ بأنك الفرد الصمد

لا أنت مولودٌ ولستَ بوالدٍ كلَّا ولا لك في الورى كُفوًا أَحَد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خير الورى ونبيُّهم وبه تشرَّف آدم

وله البها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى من نوره يتقسَّم

يا فوزَ مَن صلى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّم

صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّم

وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

الجوهرة الأولى: تَصَدَّق حتى يُخْلِف الله عليك بأفضل منها:

قال تعالى: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ: 39].

فلا تتوهَّموا أن الإنفاق ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق الله تعالى الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}، فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: قال الله – عليه السلام –: "أَنْفِق يا بن آدم يُنْفَق عليك"، وفي رواية: "أَنْفِق أُنْفِق عليك"، فمَن الذي سيُنْفِق عليك؟[160].

---

[160] – أخرجه: البخاري 6/ 92 (4684)، ومسلم 3/ 77 (993) (36).

قال تعالى: {مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245].

فالله يضاعف لكل مَن أنفق في سبيله، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؛ كما قال تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة: 261].

الجوهرة الثانية: التربية الربانية:

الله سبحانه الغني الحميد عندما يتصدق المسلم بصدقة وإن كانت يسيرة، فإنه يتقبلها بيمينه، ثم يربيها له حتى تصير مثل الجبل، فضلًا منه سبحانه وتعالى، ودليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "مَن تَصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه، حتى تكون مثل الجبل"[161]، كما يربي أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتصير مثل أُحُد، وتصديق ذلك في كتاب الله؛ قال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: 104]، وقال تعالى: {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} [البقرة: 276].

الجوهرة الثالثة: الدعاء الملائكي:

و مما يحث المسلم على إخراج الصدقة أن يناله بركة دعاء الملائكة كلَّ صباح بالبركة والنماء والإخلاف عليه، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "ما من يوم يصبح العبد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلفًا"[162].

فالذي ينفق لله عز وجل، بأن ينفق على عياله، وعلى نفسه وقرابته وأرحامه، وينفق على الفقراء والمساكين، فهذا يعجل الله عز وجل له بعطاء من فضله سبحانه ورحمته، وقوله: (اللهم عجِّل لمنفق خلفًا)؛ أي: أخلف عليه.

---

[161] – أخرجه: البخاري 2/ 134 (1410)، ومسلم 3/ 85 (1014) (64).

[162] – رواه البخاري 3 / 241 في الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: 5، 6]، ومسلم رقم (1010) في الزكاة، باب في المنفق والممسك.

أما الممسك الذي يبخل: عن نفسه، وعياله، ويبخل عن أمه وأبيه، ويبخل عن الفقراء والمساكين، مع وجوب ذلك عليه، فهذا يعجل الله عز وجل له تلفًا، فيتلف ماله، تتلف صحته، ويضيع عليه هذا المال الذي اكتسبه وبَخِل به، لذلك فالمؤمن ينفق مما أعطاه الله سبحانه ولا يبخل، فيتعبد الله بالمفهوم الأشمل والأوسع، في كل وقت وفي كل عمل من الأعمال، ويؤدي الواجبات، والنوافل، ويطعم نفسه وأهله، وضيفه، وعياله، فالله عز وجل يملأ يديه رزقًا من فضله وكرمه سبحانه.

### الجوهرة الرابعة: حتى يلين قلبك:

والصدقة هي دواء القلوب، ومتى لان قلب العبد انتفع بالموعظة، وسلِم في الدنيا والآخرة؛ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قسوة قلبه، فقال: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ: فَأَطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِ الْيَتِيمِ"[163].

### الجوهرة الخامسة: الحصانة الربانية:

والصدقة عباد الله حصنٌ حصين، وركن شديد، يلجأ إليه المسلم؛ ليحفظه الله تعالى من مواطن الهلكة، ومن مصارع السوء؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"[164].

إن الحارث الأشعري حدَّثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جل وعلا أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهنَّ، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ... وذكر منهن: «وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ[165].

فالصدقة لها تأثيرٌ عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالمٍ، بل من كافر، فإنَّ الله تعالى يدفع بها أنواعًا من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض مقرُّون به؛ لأنَّهم قد جربوه؛ [الوابل الصيِّب].

---

[163] – أخرجه أحمد 2/ 263 (7566) حسن)؛ انظر حديث رقم: 1410 في صحيح الجامع.

[164] – أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها 4/ 1982 رقم 20).

[165] – «مسند أحمد» (28/ 406 ط الرسالة):«والترمذي (2863) و(2864)، وأبو يعلى (1571)، وابن خزيمة في "صحيحه" (1895)».

## قصة:

واسمع معي إلى هذه القصة التي تبيّن لنا أن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، هذه القصة هي قصة امرأة كان لها ولد مسافر للدراسة، وكانت امرأة فقيرة، لكنها جوادة كريمة، مُحِبة لله ولرسوله – صلَّى الله عليْه وسلَّم –فبينما هي ذات يوم على عشائها الذي لا تملك غيره، إذ بطارق يطرق عليها الباب ففتحته، فإذا هو مسكين يسأل طعامًا، فقامت إلى عشائها فأعطته إيَّاه، وذهب هو ليشبع وباتت وهي جائعة، لكنها محتسِبة عند الله الأجر، ألم الجوع في بطنها؛ لكن فرحة السعادة في قلبها أن سدَّت جوعةً لمسلم!

ومضت الأيام والليالي وقَدِم ابنها من سفره، وأخذ يحدثها عن سفره، فذكر لها من أعجب ما حدث له أن أسدًا اعتدى عليه في إحدى الغابات حتى صار بين يديه، فجاءه رجل عليه ثياب بيض فأنقذه، فسأله: مَن أنت؟ قال: لقمة بلقمة، فتعجَّبت، ماذا يريد بهذا الكلام؟! فسألته أمه: متى حدث هذا الكلام؟ فأخبرها فإذا هو نفس اليوم الذي سدَّت به لقمة ذلك الجائع، لقمة الجائع أنقذت ولدها أن يكون لقمة لأسد مفترس، أرأيتم كيف دُفِع البلاء ببركة الصدقة؟! (صنائع المعروف تقي مصارع السوء).

الجوهرة السادسة: الشفاء الناجع والدواء النافع:

أحباب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أحوجنا في زمن كثُرت فيه الأسقام، وتنوَّعت فيه الأمراض، ما أحوجنا إلى الرجوع إلى صيدلية الإيمان، والاستشفاء بما بيَّنه لنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – والأمر لا يحتاج منا إلا إلى اليقين والثقة في كلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن داخل الصيدلية الإيمانية نرى دواءً لكل داء، إنه دواء الصدقة، فقد أخرج أبو الشيخ عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "داووا مرضاكم بالصدقة"[166].

وهيَّا لنشنِّف الآذان بتلك القصص التي تبيّن لنا أثر الصدقة في الأمراض المستعصية:

القصة الأولى: قال أبو طاهر السِّلَفي في معجم السفر: سَمِعت أبا الحسن علي بن أبي بكر أحمد بن علي الكاتب المينزي بدمشق يقول: سمعت أبا بكر الخبازي بنيسابور يقول: مرضتُ مرضًا خطرًا، فرآني جارٌ لي صالح، فقال: استعمل قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((داوُوا مرضاكم

---

[166] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (282/3، رقم 3557) (حسن) انظر حديث رقم: 3358 في صحيح الجامع.

بالصدقة))، وكان الوقت صيفًا، فاشتريتُ بِطيخًا كثيرًا، واجتمع جماعةٌ من الفقراء والصبيان، فأكلوا ورفعوا أيديَهم إلى الله – عز وجل – ودعوا لي بالشفاء، فواللهِ ما أصبحتُ إلا وأنا في كل عافية من الله تبارك وتعالى.

الجوهرة السابعة: الطهرة من الذنوب:

فمن ثمراتها أن تأتي يوم القامة فتجد صحيفة أعمالك كلها حسنات؛ أين السيئات التي أتت من التقصير؟

إنها الصدقة التي أطفأت خطاياك كما يطفئ الماء النار؛ عند الترمذي من حديث معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال له: "ألا أدلك على أبواب الخير؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ" (167).

الجوهرة التاسعة: المظلة الربانية:

في المحشر حر شديد يفوق الوصف؛ إذ يمكث العباد فيه مدة طويلة مقدارها خمسون ألف سنة، لا يأكلون ولا يشربون، والشمس دانية من رؤوسهم ليس بينهم وبينها إلا مقدار ميل، فترتوي الأرض من عرقهم، ويذهب فيها سبعين ذراعًا، ثم يرتفع فوقها؛ فيكون الناس في العرق على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يكون العرق إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حِقوَيْه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا.

وهناك آخرون من ذوي الأعمال الجليلة والرُّتَب الرفيعة، لا يعانون من شيء من ذلك، ومن هؤلاء المتصدقون الذين أفادت النصوص بأنهم يكونون في المحشر في ظل صدقاتهم؛ تحميهم من شدة الحر، وتدفع عنهم وهج الشمس، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "كل امرئ في ظل صدقته حتى يُفصَل بين الناس"؛ عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ – أَوْ قَالَ – حَتَّى يُقْتَصَّ بَيْنَ النَّاسِ» (168).

---

(167) – المسند 5/ 231، والمعجم الكبير 20/ 130 (266)، والترمذي 5/ 13 (2616)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه 2/ 1314 (3973)، وقد مال الألباني إلى تحسين الحديث؛ ينظر الإرواء 2/ 138 (413).

(168) – ورواه أحمد ج 4 ص 147 , 148، وأبو يعلى ج 2 ص 98، ج 1 ص 99، وقال في المجمع ج 3 ص 110، ورجال أحمد ثقات.

وفي رواية أخرى عند ابن خزيمة عن يزيد بن حبيب قال: قصة: "عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لَا يَجِيءُ إِلَى الْمَسْجِدِ إِلَّا وَمَعَهُ شَيْءٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ بَصَلٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَبَا الْخَيْرِ، مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا يُنْتِنُ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ قَالَ: يَا بْنَ أَخِي، إِنَّهُ وَاللهِ مَا كَانَ فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَتَصَدَّقُ بِهِ غَيْرُهُ، إِنَّهُ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ"(169).

وكذلك أخبرنا الحبيب النبي – صلى الله عليه وسلم – أن من جملة السبعة الذين يظلهم الله بظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلَّه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّهِ:... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ"(170).

### الجوهرة العاشرة: ثقل الموازين يوم القيامة:

في يوم عبوس قمطرير شرُّه، في يوم تُنصب فيه الموازين، في يوم يرجح ميزان العبد بمثقال ذرة، ويخف ميزانه بمثقال ذرة، يحتاج العبد منا إلى شيء يثقل ميزان، أتدري ما يثقل ميزانك يوم القيامة؟ إنها الصدقة عبد الله؛ فقد أخرج ابن حبان في "صحيحه" عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَبَدَ اللهَ فِي صَوْمَعَتِهِ سِتِّينَ عَامًا، فَأَمْطَرَتِ الأَرْضُ، فَاخْضَرَّتْ، فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فَقَالَ: لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللهَ، لَازْدَدْتُ خَيْرًا، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ، أَوْ رَغِيفَانِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الأَرْضِ، لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ، حَتَّى غَشِيَهَا، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ الْغَدِيرَ يَسْتَحِمُّ، فَجَاءَهُ سَائِلٌ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ، أَوِ الرَّغِيفَ، ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلْكَ الزَّنْيَةِ، فَرَجَحَتِ الزَّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ، فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ"(171).

### الجوهرة الحادية عشرة: الحجاب الواقي من نار جهنم:

جهنم – أعاذني الله وإياكم من شرها – حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها من حديد، وهجها يشوي الوجوه، ويُحرّق الأبدان، فما السبيل إلى الوقاية منها ومن حرّها؟ إنها الصدقة عباد الله تجعل بينك وبينها حجابًا وسورًا واقيًا؛ أخرج البخاري ومسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ،

---

(169) – أخرجه أحمد 4/ 233 (18207).

(170) – أخرجه البخاري (660) و(1423) و(6479)، ومسلم (1031) (91).

(171) – أخرجه ابن حبان (102/2، رقم 378) [قال الألباني]: ضعيف – "التعليق الرغيب" (2/ 49 / 45).

وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»؛ قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ: مِثْلَهُ، وَزَادَ فِيهِ: وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"[172].

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَهَا: "يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ"[173].

الجوهرة الثانية عشرة: افتدِ نفسك بالصدقة من نار جهنم:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِكَاكُكُمْ مِنَ النَّارِ؛ أي خلاصكم من نار جهنم؛ قال العبادي: والصدقة أفضل من حج التطوع عند أبي حنيفة.

الجوهرة الثالثة عشرة: حتى تدعى من باب الصدقة:

وأنت في أرض المحشر ويُساق المؤمنون إلى الجنة زمرًا، فعندما تصل إلى أبوابها، تُرى من أي باب ستدخل، إن كنت من أهل الصدقة نادى عليك المنادي: هَلُمَّ من هنا، فإنك من أهل الصدقة، نعم إن صاحبها يُدعى من باب خاص من أبواب الجنة؛ يقال له: باب الصدقة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ «تَصَدَّقُوا؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فِكَاكُكُمْ مِنَ النَّارِ»[174].

قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ، نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هذَا خَيْرٌ»، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ هذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» [175].

اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار.

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات.

---

[172] – أخرجه البخاري 4/ 466 و484 ومسلم 3/ 86 والترمذي 2/ 67 وأحمد 4/ 256 و377.

[173] – المسند 6/ 79؛ قال المنذري في الترغيب 1/ 662 (1266): رواه أحمد بإسناد حسن، وحسَّن الألباني الحديث لطرقه، ونقل أن المطلّب كثيرُ التدليس، وقد عنعن، وفي سماعه من عائشة خلاف، الصحيحة2/ 564 (897).

[174] – أخرجه الطبراني في الأوسط (8/90، رقم 8060)، قال الهيثمي (3/106): رجاله ثقات، وأبو نعيم في الحلية (10/403)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/214، رقم 3355)، وابن عساكر (56/73) (ضعيف) انظر حديث رقم: 2439 في ضعيف الجامع.

[175] – مسلم (2/ 711 – 712 رقم 1027)، البخاري (4/ 111 رقم 1897)، وانظر (2841، 3216، 3666)

# الكنز الخامس: عشر طيب الكلام

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد، فليس بينه وبين العباد حائلٌ، جعَل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لا محالةَ زائلُ، حذَّر الناس من الشيطان وللشيطان منافذُ وحبائل، فمن أسلم وجهه لله، فذاك الكيِّسُ العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تنزَّه عن الشريك وعن الشبيه، وعن المشاكِل، من للعباد غيره؟ ومن يدبِّر الأمر؟ ومن يَعدِل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرعى الجنين في بطن الحوامل؟ مَن يُجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟ من لنا إذا انقضى الشباب، وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟ ونصلي ونسلِّم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أخي القاري الكريم، من الكنوز التي ينبغي لطالب النجاة في الدنيا والآخرة وطالب السعادة الأبدية – طيبُ الكلام، فالكلمة لها تأثير كبير في النفوس؛ كما أخبرنا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: "قَدِمَ رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ بَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، أَوْ إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ»[176].

✍الجوهرة الأولى: الكلام الطيب شعار ودِثار أهل الإيمان، فلا ينطق المؤمن بالعوار من الكلام، فقد منَحه الله الهداية في هذا المقام، فقال تعالى: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ} [الحج: 24].

✍الجوهرة الثانية سكنى الجنان: قد خصَّ الله أهل التفرُّد بالكلام الطيب والعمل الصالح بمنزلة في الجنة هي لهم من سائر الناس، ففي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الجنةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظَاهِرِها»، فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نِيامٌ»[177].

---

[176] – أخرجه البخاري (5767) والترمذي (2028).

[177] – أخرجه ابن أبي شيبة 8/ 625 و13/ 101، وهناد في "الزهد" (123)، والترمذي (1984) و(2527)، وأبو يعلى (428)، وابن عدي في "الكامل" 4/ 1613–1614 من طريقين عن عبد الرحمن بن إسحاق، به، وقال الترمذي: غريب.

الجوهرة الثالثة: ميزان الأعمال: بمعرفة نقيض الشيء يُعرف مقامُه، فالكلام الفاحش وبذاءة اللسان لها أعظم الأثر في أعمال العبد، فقد تكون حجابًا مانعًا من القبول عند الله، ففي الحديث: "قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرةِ صَلاتِها، وصيامِها، وصَدَقتِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلِسانِها، قال: «هي في النَّارِ»، قال: يا رسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها، وصَدَقتِها، وصلاتِها، وإنَّها تصَدَّقُ بالأثوارِ مِنَ الأقِطِ، ولا تُؤذي جيرانَها بلِسانِها، قال: «هي في الجنَّةِ»[178].

الكلمة الطيبة شعبة من شُعب الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن كان يؤمِن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمُت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرم جارَه، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرم ضيفه»؛ (متفق عليه) [179].

الكلمة الطيبة سِمَة المؤمنين الصادقين والدعاة وشعارهم: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26].

الجوهرة الرابعة: الكلمة الطيبة صدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تَطلُع فيه الشمس، تَعدِل بين الاثنين صدقةٌ، وتعين الرجلَ في دابته، فتَحمِله عليها، أو ترفَع له عليها متاعَه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خُطوة يَمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»؛ (رواه البخاري ومسلم) [180].

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الصدقةُ لا تختص بالمال، بل كلُّ ما يقرِّب إلى الله فهو صدقة بالمعنى العام؛ لأن فعلَه يدل على صِدق صاحبه في طلب رضوان الله عز وجل" [181].

---

[178] – أخرجه أحمد 2/ 440 (9673)، والبخاري في "الأدب المفرد" 119 و"ابن حِبَّان" 5764.

[179] – وأخرجه البخاري (6138)، ومسلم (47)، وأبو داود (4154)، وابن ماجه (3971)، وهو في "المسند" (7626).

[180] – أخرجه البخاري (2707) و(2891) و(2989)، ومسلم (1009) (56)، وابن حبان (3381).

[181] – شرح رياض الصالحين 1/ 290.

الجوهرة السادسة: وبالكلمة الطيبة تتحقق المغفرة:

عَنْ هَانِئِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: "إِنَّ مِنْ مُوجِبَاتِ الْمَغْفِرَةِ، بَذْلُ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الْكَلَامِ"[182].

الجوهرة السابعة: بها تكون النجاة من النار:

عن عديّ بن حاتم قال: ذكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم النارَ فأعرض وأشاح، ثم قال: ((اتقوا النار))، ثم أعرض وأشاح حتى ظننَّا أنه كأنما ينظر إليها، ثم قال: ((اتقوا النار ولو بشق تمرةٍ، فمن لم يجد، فبكلمةٍ طيبة))؛ رواه البخاري ومسلم[183].

وعن المقدام بن شُرَيح عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنهم، قال: قلت: يا رسولَ الله، حدثني بشيء يوجب لي الجنة، قال: ((موجبُ الجنة: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وحسنُ الكلام))[184].

الجوهرة الثامنة حسن الجزاء:

والجزاء من جنس العمل، فلما كانت الكلمة الطيبة سجيَّة لهم، دخلوا الجنة فلم يسمعوا فيها إلا الطيّب الذي لا يؤذيهم؛ قال تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة: 25، 26]؛ أي: لا يسمعون في الجنة كلامًا لاغيًا؛ أي: غثًّا خاليًا عن المعنى، أو مشتملًا على معنى حقير أو ضعيف.

ولما كانت خمر الدنيا حاملةً على بذيء الكلام؛ قال تعالى في نعت خمر الآخرة: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} [الطور: 23].

الجوهرة التاسعة تصعد إلى السماء:

فتفتَّح لها أبواب السماء، وتُقبل بإذن الله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10].

الجوهرة العاشرة: إنها من هدايةِ الله وفضله للعبد:

---

[182] – أخرجه الطبراني (180/22، رقم 469)؛ قال الهيثمي (29/8): فيه أبو عبيدة بن عبد الله الأشجعي روى عنه أحمد بن حنبل وغيره ولم يضعفه أحد وبقية رجاله رجال الصحيح.

[183] – صحيح، أخرجه البخاري (6540) ومسلم (1016).

[184] – «الترغيب والترهيب – المنذري – ط العلمية» (3/ 284)

قال تعالى: {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ} [الحج: 24].

ومن آثار الكلمة الطيبة: أنها قد توحِّد الصفوف وتجمع الشمل، وتؤلف بين القلوب، وتقرب بين الأباعد، وتحبب بين المتباغضين، وتذهب أحقاد الصدور، وتُعين على إصلاح ذات البين.

يذكر أن علي بن الحسين رحمه الله كان بينه وبين حسن بن حسن رحمه الله شيءٌ من الجفاء، فجاء يومًا حسنُ بن حسن وعلي بن الحسين جالس مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئًا إلا قاله له، وعليٌّ ساكت، فلما كان الليل، أتى علي بن الحسين حسن بن حسن في منزله، فقرَع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له: يا أخي، إن كنت صادقًا فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذبًا فغفر الله لك، السلام عليكم، وولَّى، فما كان من الرجل إلا تبعه، والتزَمه من خلفه، وأخذ يبكي، ويقول: لا جرم، لا عدتُ في أمرٍ تَكرَهه، فقال له علي: وأنت في حل مما قلت لي.

خرج الشاعر الأعشى إلى سوق عكاظ – وهي السوق الأدبية في ذلك الزمان التي كانت تُعرض فيها بضاعة الأدب – فتلقاه رجل فقير يقال له: المحلَّق، له ثمان بنات لم يتزوَّجن، فأراد أن يكسب منه كلمة من شعره بين العرب، لعل بها تزويج بناته، فنحر له ناقته التي لا يملك غيرها وأكرَمه، وبينما كان الأعشى عند المحلق تحلَّقت البنات بالأعشى، فقال لأبيهن: ما هؤلاء الجواري؟ فقال: هؤلاء بنات أخيك، فذهب الأعشى من بيته ولم يقل شيئاً، فلما وافى عكاظ قال قصيدته القافية التي منها قوله:

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرة = إلى ضوء نار باليفاع تَحرَّق

تُشب لمقرورين يصطليانها = وبات على النار الندى والمحلَّق

ترى الجود يجري ظاهرًا فوق وجهه = كما زان متنَ الهندواني رَونق

ثم نادى: يا معاشر العرب، هل فيكم مذكار يزوِّج ابنه إلى الشريف الكريم؟ فما قام مِن مَقعده إلا وقد زوِّجت البنات الثمان على أشراف من العرب.

# الكنز السادس عشر: الصمت

الحمد لله الذي جعل الكلام ترجمانًا يعبر عن مستودعات الضمائر، وتخبر شواهده عن مكونات السرائر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، أكثر الناس صمتًا، وأشهرهم ذكرًا، وأجلهم مكانة، وأقدسهم طهرًا، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فعباد الله، عبادة عظيمة وهي من العبادات الجليلة التي قلَّ اليوم من يتكلم فيها، وقل من يطبقها، وربما يسمع بعضنا لأول مرة أن هذه عبادة من العبادات، إنها عبادة الصمت، والصمت: هو إمساك اللسان عن قول الباطل، وعدم الكلام فيما لا يجوز فيه الكلام، فهيَّا لنقف مع كنز الصمت؛ لنتأمل ما فيه من مجوهرات ومن نفائس غالية:

## الجوهرة الأولى: الصمت سمتُ الإيمان:

اعلم أخي القارئ أن الصمت سمت ودليل الإيمان، فكلما رسخ الإيمان في قلبك، قلَّ كلامك وحسُن عملك، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمُت"[185].

ويقول النووي – رحمه الله –: فمعناه أنه إذا أراد أن يتكلم، فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا، يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا، فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه، فليمسك عن الكلام؛ سواء ظهر له أنه حرام، أو مكروه، أو مباح مستوي الطرفين.

فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه، مَخافةً من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا، وقد قال الله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: 18].

واختلف السلف والعلماء في أنه هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحًا لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية، أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟ وإلى الثاني ذهب ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من العلماء، وعلى هذا تكون الآية مخصوصة؛ أي: ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء. وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات؛ لئلا ينجرَّ صاحبها إلى المحرمات أو

---

[185] – أخرجه أحمد (463/2) والبخاري (13/8) ومسلم (49/1) وابن ماجه (3971).

المكروهات، وقد أخذ الإمام الشافعي رضي الله عنه معنى الحديث، فقال: إذا أراد أن يتكلم فليفكِّر، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه تكلم، إن ظهر له فيه ضرر، أو شك فيه أمسك.

عن أبي القاسم القشيري رحمه الله قال: الصمت بسلامة، وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال، قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس، قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه مِن حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من الآفات، وذلك نعت أرباب الرياضة، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق، وروينا عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: من عد كلامه من عمله، قل كلامه فيما لا يعنيه، وعن ذي النون رحمه الله: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه؛ والله أعلم[186].

الجوهرة الثانية: الصمت سبيل النجاة:

أخي القارئ، اذا أردت النجاة في الدنيا والآخرة، فعليك بالصمت فإن فيه النجاة؛ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنك لم تزل سالِمًا ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك)[187].

فالأصل الذي هو السلامة أن الإنسان لا يتكلم إلا إذا ترجَّحت مصلحة الكلام على مصلحة السكوت،

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صمت نجا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت قليل الضحك) [188].

ولقد جاءت وصايا العلماء والحكماء تحث وتدعو إلى لزوم الصمت وبيان فوائده، وهاك طرفًا منها،

وعن شيخ من قريش قال: قيل لبعض العلماء: إنك تطيل الصمت، فقال: إني رأيت لساني سبعًا عقورًا أخاف أن أخلي عنه فيعقرني:

---

[186] – شرح النووي على مسلم – (ج 1 / ص 128).

[187] – أخرجه الطبراني في الكبير ح 16561، والبيهقي في الشعب ح 4752، والطيالسي في مسنده ح 556، قال الألباني (صحيح)؛ انظر حديث رقم 5136 في صحيح الجامع.

[188] – أخرجه أحمد ح 6193، وأخرجه الترمذي (2 / 82)، والدارمي (2 / 299)، والقضاعي في " مسند الشهاب " (ق 26 / 2)، وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2 / 62.

ما إن ندمت على سكوتي مرة = ولقد ندمت على الكلام مرارَا

وعن أرطأة بن المنذر قال: تعلم رجل الصمت أربعين سنة بحصاة يضعها في فيه، يعني: مكث أربعين سنة يجاهد نفسه في تعلم الصمت.

وقوله: بحصاة يضعها في فيه؛ يعني كان يأتي بحصى ويضعها تحت لسانه، لا ينزعها إلا عند طعام أو شراب أو نوم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض من شيء أحوج إلى طول سجن من لسان)[189].

ولذلك مدَّ الله سبحانه وتعالى اللسان بكثيرٍ من الحواجز، وجعل لنا أذنين ولسانًا واحدًا، حتى نسمع أكثر مما نتكلم، ولهذا تجد الأذنين ليس عليهما غطاء، وتجد العين عليها غطاء من أجل رد البصر، وهكذا اللسان جعل الله له بابًا من عظم وبابًا من لحم، حتى لا يتساهل الإنسان في الكلام، وقال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إليَّ بالعلم كله، فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تَلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم – فافعَل)[190].

وعن الحسن قال: ابن آدم، وكِّل بك ملكان كريمان: ريقك مدادهما، ولسانك قلمهما. يعني: أنه وكِّل بك ملكان كريمان يكتبان عليك الأعمال، والمداد الذي يكتبان به هو الريق، والقلم هو اللسان.

وعن شفي بن نافع الأصبحي قال: من كثر كلامه كثرت خطيئته( [191].

وعن يعلى بن عبيد قال: قال سفيان: لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان أكنتم تتكلمون بشيء؟ قلنا: لا، قال: فإن معكم الملائكة ترفع الحديث إلى الله سبحانه وتعالى)[192].

وقال أبو علي الدقاق: لو كنتم تشترون الكاغد للحفظة – أي: الورق – لسكتم عن كثير من

---

[189] – الأدب لابن أبي شيبة ح 222، والزهد لأبي داود ح 149و الزهد لابن أبي عاصم ح 21.

[190] – تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني – (ج 1 / ص 161).

[191] – الزهد لابن أبي عاصم ح 26، والزهد لابن المبارك ح 829.

[192] – حلية الأولياء – (ج 3 / ص 180).

الكلام[193]؛ يعني: لو كان الله سبحانه وتعالى كلَّفكم بأن تشتروا الورق للكرام الكاتبين؛ ليسجلوا فيها أعمالكم، لسكتم عن كثير من الكلام.

### الجوهرة الثالثة: الحصول على طوبى:

وهي الجنة أو شجرة الجنة؛ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ" [194].

### الجوهرة الرابعة: الصمت حماية للجوارح وسبيل استقامتها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»[195].

### الجوهرة الخامسة: الصمت صدقة:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ"، قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا"، قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ"، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: "تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فإنها صدقة منك على نفسك"[196].

### الجوهرة السادسة: شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن:

عن سَهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: ((من يَضمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيه وما بَيْنَ رِجلَيه، أَضمَنْ له الجنَّةَ)) [197].

---

[193] – غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب – (ج 1 / ص 105).

[194] –أخرجه أبو داود في " الزهد " برقم (378)، وابن أبي عاصم في " الزهد " (74)، وسعيد بن منصور في " سننه " برقم (2897).

[195] –أخرجه الترمذي (2407) من طريق محمد بن موسى البصري، وأحمد (11908).

[196] –رواه البخاري 5 / 105 في العتق، باب أي الرقاب أفضل، ومسلم رقم (84) في الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

[197] –رواه البخاري (6474).

قال ابنُ عبدِ البَرّ: (في هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ أكبَرَ الكبائرِ إنَّما هي من الفَمِ والفَرجِ، وما بَيْنَ اللَّحيَينِ الفَمُ، وما بَيْنَ الرِّجلَينِ الفَرجُ، ومن الفَمِ ما يتولَّدُ من اللِّسانِ وهو كَلِمةُ الكُفرِ، وقَذفُ المحصَناتِ، وأخذُ أعراضِ المُسلِمين، ومن الفَمِ أيضًا شُربُ الخَمرِ، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ ظُلمًا، ومن الفَرجِ الزِّنا واللِّواطُ) [198].

الجوهرة السابعة: الصمت دليل على الحكمة وكمال العقل:

قال الحسن البصري: (كانوا يقولون: إن لسان الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه، لا يرجع إلى القلب، فما أتى على لسانه تكلم به) [199].

وقال سعدون الرازي: (كنت مع حاتم الأصم، فكان يتكلم فقلَّ كلامه، فقيل له في ذلك: قد كنت تتكلم فتنفع الناس! فقال: إني لا أحب أن أتكلم كلمة قبل أن أستعدَّ جوابها لله، فإذا قال الله تعالى لي يوم القيامة: لم قلت كذا؟ قلت: يا رب، لكذا)، وقال الحكماء: (إذا تَم العقل نقص الكلام) [200].

---

[198] –((الاستذكار)) (8/ 565).

[199] –((الزهد)) لعبد اللهِ بن المبارك – رواية المروزي (ص: 131) رقم (390).

[200] –((تاريخ بغداد)) للخطيب البغدادي (9/ 153).

# الكنز السابع عشر: السحور

الحمد لله رب العالمين، سبحانه سبحانه، سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضاؤه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة من قال ربي الله ثم استقام، تقرَّب لعباده برأفته ورحمته، ونوَّر قلوب عباده بهدايته،

سبحان مَن ملأ الوجود  أدلة ليَلوح ما أخفى بما أبدَاه

سبحان مَن ظهر الجميع بنوره  فيه يرى أشياء من صفاه

سبحان من أحيا قلوبَ عباده  بلوائحَ مِن فيض نورِ هداه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

والله ما في الخلق مثل محمد  في الفضل والجود والأخلاق

فهو النبي الهاشمي المصطفى  مِن خِيرة الأنساب من عدنان

لو حاول الشعراءُ وصفَ محمد  وأَتوا بأشعار من الأوزان

ماذا يقول الواصفون لأحمد  بعد الذي جاء في القرآن

وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

والمقصود بالسحور: المأكول في السَّحَر، والسَّحر: قبيل الصبح، ويدخل وقته بنصف الليل، وهو مستحب ولا مأثم على مَن تركه، ولقد حث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمته على السحور، وتناول شيء من المأكولات والمطعومات قبل الشروع في عبادة الصوم؛ وما ذاك إلا تقوية لأبدانهم، وإعانة على عباداتهم؛ مما يؤكد ويدل على أهمية وبركة السحور للصائم في شهر رمضان، وفي غير من الأيام والشهور، وهيا أخي القاري الكريم لنرى ما بداخل ذلك الكنز النبوي من مجوهرات ونفائس:

### الجوهرة الأولى: السحور سنة نبوية:

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تلك السُّنَّة، بفعل الأمر (تسحَّروا) على الاستحباب، بأن السحور سنة وليس فرضًا، ورغم ذلك فالنبي شجع على السحور، فبيَّن أنه (بركة)، لكنك تجد

فزع الناس كثيرًا من قلة المال لانتشار الغلاء والوباء؛ فلا يكفي المال كل حاجات الأسرة غالبًا، ولهذا أنصح نفسي وإياكم بالبحث عن أسباب البرك، ومنها هنا (السحور)؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((تسحَّروا؛ فإن في السحور بركة) [201]، وبركة السحور أن القليل من طعامه وشرابه يكفي عددًا كثيرًا من المتسحرين، وكذلك يقْوَى البدن بتلك الأكلة، فيذهب الرجل إلى عمله، وتقوى المرأة على أعمال بيتها، إلى جانب أنه إعانة للصائم على الطاعات في نهاره من أعمال البر والذكر وغيرها، كما أن السحور وسيلة للقيام بالعمل الوظيفي إن كنت شبعًا، وأخيرًا بركة السحور في شعورك بالشبع رغم أنك تسحرت بقليل ماء وشراب، أسأل الله أن يملأ قلوبنا وأعمالنا وأعمارنا وبيوتنا بركةً ورضا وقناعة وكفافًا.

الجوهرة الثانية: السحور سنة الأنبياء:

لقد حثنا نبينا على السحور لنسير على خطى الأنبياء قبلنا؛ فقد كان من سنتهم التسحر، وذلك بتأخير وقته إلى قرب الفجر؛ ليكون الطعام والشراب بالمعدة محفوظًا؛ مما يعين الصائم على القوة والقدرة في نهاره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نعجل إفطارنا ونؤخر سحورنا)) [202]؛ فليحرص المسلم أن يكون سحوره متأخرًا قبيل الفجر؛ تأسيًا بفعل النبيين، ولتحتفظ المعدة بالطعام والشراب فترة أطول لتقوية بدنه نهارًا.

الجوهرة الثالثة: الفرق بين صيام المسلمين وأهل الكتاب:

إن من نعم الله على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن أكمل لهم الدين، وأتم لهم النعمة؛ فبين لهم كل شيء بتمامه وكماله، ومن ذلك التسحر؛ فعن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((فَصْل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أكلة السحر)) [203].

فأهل الكتاب يأكل الواحد منهم ليلًا، ثم ينام، ولا يقوم سحرًا ليتسحر لصيامه؛ فحثنا نبينا على تلك السنة المستحبة مخالفةً لهم في طريقة صيامهم.

---

[201] – صحيح البخاري: 3/ 29.

[202] – أخرجه الطيالسي (ص 346، رقم 2654)، والبيهقي (238/4، رقم 7914)، وأخرجه أيضًا: الطبراني في الكبير (199/11، رقم 11485)، وفي الأوسط (247/2، رقم 1884)؛ قاله الهيثمي (155/3).

[203] – مسلم (2/ 770 – 771 رقم 1096).

✍الجوهرة الرابعة: السحور من خصائص أمة محمد:

لقد حث النبي صلى الله عليه وسلم صحابته على السحور بألا يتركوه، كما في رواية عبدالله بن الحارث، يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر، فقال: ((إنها بركة أعطاكم الله إياها، فلا تَدَعُوه)) [204].

فهذا الحديث يبيّن أن من خصائص الأمة تلك السنة، فقد قال القاضي عياض: "هو مما اختصت به هذه الأمة في صومها"[205]، وذلك لأن النبي أكد ذلك بقوله: ((أعطاكم الله إياها))؛ أي: خصَّكم بها دون غيركم من الأمم؛ فهنيئًا لأمة خصها الله بخصائص لم تكن قبلها، فحريٌّ بأبناء أمتنا أن يحرصوا على سنة التسحر.

✍الجوهرة الخامسة: وقت السحور فرصة لتكتب عند الله في المتقين:

الأسحار أنفاس المستغفرين، وقد مدح الله المتقين مبينًا منزلتهم في الجنة، وبعض أعمالهم التي تعبَّدوا بها لربهم في دنياهم، بقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الذاريات: 15]، {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: 18]، فبيَّن أن من أسباب دخول الجنة أنهم كانوا يستغفرون في الأسحار؛ فوقت السحر فرصة لأن تستغفر فيه، فهو وقت غفران وقربة واستجابة، فلا تحرم نفسك من الاستغفار في هذا الوقت ولو دقيقة؛ لتدخل في زمرة الآية عملًا بها، خاصة ذكر سيد الاستغفار: ((اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت...)) [206].

---

[204] – النسائي: (4/ 145) (22) كتاب الصيام (24) فضل السحور – رقم (2162).

[205] – «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» (20/ 366).

[206] –أخرجه النسائي في "الكبرى" (10298) – وهو في "عمل اليوم والليلة" (464) و(580)، وأخرجه ابن أبي شيبة 10/ 296، والبخاري في "صحيحه" (6323).

### ما يسنُّ الإفطار عليه:

مِن السنَّة أن يُفطر الصائم على الرطب، فإن لم يتيسَّر فعلى التمر، فإن لم يتيسَّر فعلى الماء، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يُفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن رطبات فتمرات، فإن لم يكن تمرات حَسا حسوات من ماء)) [207].

وكان أحيانًا يُفطر على ماء فقط، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: ((ما رأيتُ النبي قطُّ صلى صلاة المغرب حتى يُفطر، ولو كان على شربة من ماء[208].

وكان – صلى الله عليه وسلم – أحيانًا يُفطر على السويق؛ فعن عبدالله بن أبي أوفى – رضي الله عنه – قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سفر، فقال لرجل: ((انزل فاجدَح لي))، قال: يا رسول الله، الشمس، قال: ((انزل فاجدح لي))، قال: يا رسول الله، الشمس، ((انزل فاجدح لي))، فنزل فجدَح له، فشرب، ثم رمى بيده ها هنا، ثم قال: ((إذا رأيتُم الليل أقبل من ها هنا، فقد أفطر الصائم))؛ متفق عليه [209].

قال النووي: (الجدح): خلط السويق بالماء، وتحريكه حتى يستوي[210]؛ اهـ، والسويق: دقيق القمح أو الشعير أو الذرة أو غيرها، إذا قُلي بالنار، يتزوَّد به المسافر وغيره، فإذا احتيج إلى أكله خُلِط بماء أو لبنٍ أو عسل، أو سمن أو نحوها، وهذا هو الجدح[211]، وهو قريب مما يُسمى اليوم بـ(الشوربة).

---

[207] – وأخرجه أبو داود (2356)، والدارقطني 2/ 185، والحاكم 1/ 432، والبيهقي 4/ 239، وأخرجه الترمذي (696)، والدارقطني 2/ 185، والبيهقي 4/ 239، والبغوي (1742).

[208] – رواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه 2: 348 (9789)، وعنه أبو يَعلى 6: 424 وهذا لفظه، وصحَّحه ابن خزيمة 3: 276 (2063)، وابن حبان 8: 274 (3504)، (3505)، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحَين 1: 597، والبيهقي في السنن الكبرى 4: 239، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (2110).

[209] – رواه البخاري في كتاب الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار 2: 685 (1839)، ومسلم في كتاب الصيام، باب بيان وقت انقِضاء الصوم وخروج النهار 2: 772 (1101).

[210] – شرح النووي على صحيح مسلم 7: 209، وفتح الباري 4: 197.

[211] – (المطلع (ص: 176)، والتوقيف على مهمات التعريف (ص: 199)، وفتح الباري 1: 312، وعمدة القاري 3: 103، وتاج العروس 25: 480).

وبهذا نعلم أن السنَّة الفِطر على أشياء خفيفة لا تؤذي المعدة، خلاف ما قد يفعله بعض الناس اليوم من ملء المعدة عند الإفطار بأطعمة ثقيلة تُتعبها، ولا يمتصُّها الجسم بسرعة، وأما الرطب أو التمر، فهو سريع الهضم سريع الامتصاص؛ لما يَشتمِل عليه من المواد السكرية، فهو سهل على المعدة ويمتصُّه الجسم سريعًا، فيُشعره بنوع من الامتلاء، فلا يَهجم على الطعام بشدة، ويُعوِّضه سريعًا عما افتقده من السكريات بسبب الصيام[212].

الحِكمة من تعجيل الفِطر:

لمشروعية تعجيل الفطر حِكَم مُتعدِّدة، منها:

أولًا: المبادرة لطاعة الله تعالى بالفطر كما حصلَت طاعته بالصوم.

ثانيًا: ترك الغلوِّ والتنطُّع في الدين بالزيادة على الفرض بما لم يشرعْه الله تعالى.

ثالثًا: الأخذ برخصة الله تعالى، والتمتُّع بما في شريعته من التيسير والتسهيل؛ حيث لم يلزمهم بمُواصَلة الصيام، ولا بزيادة وقته عن غروب الشمس.

رابعًا: ترك التشبُّه بأهل الكتاب، فإنهم يؤخِّرون الفطر؛ كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: ((لا يزال الدين ظاهرًا ما عجَّل الناس الفِطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخِّرون)) [213].

خامسًا: أنه علامة على أن الأمة بخير باستِمساكها بسنَّة نبيِّها – صلى الله عليه وسلم – وترك اتِّباع أهل الغواية والضلالة من اليهود والنصارى وغيرهم.

سادسًا: أنه أرفق بالصائم، وأقوى له على مواصَلة العبادة.

---

[212] – الدليل الطبي والفقهي، للدكتور حسان شمسي باشا (ص: 149).

[213] – رواه أحمد 2: 450، وأبو داود في كتاب الصوم، باب ما يستحب من تعجيل الفطر 2: 305 (2353) واللفظ له، والنسائي في الكبرى 2: 253 (3313)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب ما جاء في تعجيل الإفطار 1: 542 (1698)، وصحَّحه ابن خزيمة 3: 275 (2060).

# الكنز الثامن عشر: صلاة الجماعة

الحمد لله الذي زيَّن قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجلَ والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتب، ولا في أيِّ الفرقين يُساق، فإن سامَح فبفضله، وإن عاقَب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أَعُدُّها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

يا رب:

يَظن الناس بي خيرًا وإني  أشرُّ الناس إن لم تَعفُ عني

وما لي حيلة إلا رجائي  وجودُك إن عفوتَ وحُسن ظني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، البشير النذير السراج المنير، الذي عمَّ نوره الآفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءَه كسوفٌ ولا محاق، الحبيب القريب الذي أُسري به على البراق، إلي أن جاوز السَّبع الطِّباق.

يا سيدي يا رسول الله.

يا أجملَ ما رأت قطُّ عين  ويا أكملَ ما ولدت النساء

خُلقت مبرأً من كل عيبٍ  كأنك خُلقت كما تشاء

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

فإن الله سبحانه وتعالى عَظَّم قدر الصلاة، ورفع من شأنها، وبيَّن رسولنا صلى الله عليه وسلم أنها الحدُّ بين الإيمان والكفر، فالصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هَدَمَها فقد هدم الدين، ألا وإن من أهم الأسباب للحرص على الصلاة أداءَها في جماعة، ولقد فرَّط كثير من الناس في صلاة الجماعة، يسمعون النداء: (حي على الصلاة، حي على الفلاح)، فلا يلبُّون نداء الله، ولا يقيمون للأذان وزنًا، فيصلون في آخر الوقت فُرادى، بل قد يتركونها بالكلية، وإنا لله وإنا إليه راجعون؛ فأَحببت أن أُذكِّر نفسي وإياكم بفضل صلاة الجماعة، وأجر مَن حافظ عليها، والترهيب من التهاون

فيها، لذا فأَعيروني القلوب والأسماع، لعل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يَجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه.

مجوهرات ونفائس صلاة الجماعة:

الجوهرة الأولى: صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد:

فعن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "صَلاةُ الرَّجُلِ فِي الجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَفِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ: إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ "[214].

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفَذِّ بسبع وعشرين درجة»[215].

وهذا التضعيف والتفضيل يَختلف بحسب كمال الصلاة ومحافظة هيئتها وخشوعها، وكثرة جماعتها، وشرف البقعة، ونحو ذلك.

الجوهرة الثانية: صلاة الجماعة من سنن الهدى:

فعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: «مَنْ سَرَّه أن يلقى الله غدًا مسلمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ، فإن الله شرع لنبيّكم صلى الله عليه وسلم سننَ الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتُم في بيوتكم كما يصلي هذا المُتخلِّف في بيته، لتركتُم سنة نبيّكم، ولو تركتم سنة نبيّكم لضَللتم، وما من رجل يتطهر فيُحسِن الطهور، ثم يَعمِد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»[216].

فالمحافظة على صلاة الجماعة من أسباب حسن الخاتمة، وطريق من طرق الهدى والخيرية، وفيها الاجتماع على الخير والاعتصام بحبل الله تعالى ونبذ الفرقة.

---

[214] – البخاري (647) واللفظ له، ومسلم (649).

[215] – وأخرجه البخاري "649" ومسلم "649" "248".

[216] – صحيح مسلم (1/ 453 رقم 654).

✍الجوهرة الثالثة: المحافظة على الجماعة سبب لمغفرة الذنوب:

فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، فَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[217].

✍الجوهرة الرابعة: براءتان للمحافظة على صلاة الجماعة:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ"[218].

✍الجوهرة الخامسة: صلاة العشاء والفجر في جماعة كقيام الليل كله:

فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ»[219].

✍الجوهرة السادسة: الحصانة الربانية:

عَنْ جُنْدَبٍ الْقَسْرِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» [220].

فهذا نَهْيٌ مِنْهُ صلى الله عليه وسلم عن التَّعَرُّضِ لِمَنْ هُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ بِشيءٍ مِنْ السُّوءِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْحَجاجَ مَعَ جُورِهِ وَظُلْمِهِ وَتَعَدِيهِ لِحُدُودِ اللهِ، كَانَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يُؤْتَى بِهِ نَهَارًا صَلَّيْتَ الصُّبحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ خَلَّى سَبِيلَهُ مَخَافَةَ أَنْ يطلبَهُ اللهُ بشيءٍ من ذِمتِه.

---

[217] – ضعيف. رواه أحمد (1/ 67، 71) والترغيب: (21/07)، في إسناده ابن لهيعة.

[218] – أخرجه الترمذي من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه في السنن 2/ 7 أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل التكبيرة الأولى (178)، الحديث (241)، وعزاه ابن حجر في التلخيص الحبير 2/ 27 للبزار.

[219] – «مسند أحمد» (1/ 526 ط الرسالة):«وأخرجه أبو داود (555) عن أحمد بن حنبل، بهذا الإسناد. وقد تقدم برقم (408)».

[220] – مسلم: (1/ 454 – 455) (5) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (46) باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة: (262).

الجوهرة السابعة: علامة من علامات الإيمان:

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا رأيتُم الرَّجُلَ يعتاد المساجدَ فاشْهَدوا له بالإيمان)) [221].

الجوهرة التاسعة: النزل في الجنة:

عَنْ أَبِي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أو راح"[222].

والمراد بالنُّزُل هنا: الضِّيافة والكرامة عند الله.

الجوهرة العاشرة: النور التام يوم القيامة:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[223]، وَعَنْ ابن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجلَ في الْفَجْرِ والْعِشَاءِ، أسأنا بِهِ الظنَّ [224].

الجوهرة الحادية عشرة: صلاةُ الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ أَزْكَى:

عن أُبيّ بن كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((صلاةُ الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ أَزْكَى من صلاتِه وحْدَه، وصلاتُه مع الرَّجُلينِ أزْكَى من صلاتِه مع الرجُلِ، وما كثُرَ فهو أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ))[225].

---

[221] – وأخرجه الترمذي (2617) و(3093)، والدارمي 1/ 278، وابن خزيمة (1502)، وابن حبان (1721)، وابن عدي في "الكامل" 3/ 981، والحاكم 1/ 212 – 213، 2/ 332، وأبو نعيم في "الحلية" 8/ 327.

[222] – أخرجه أحمد 2/508، 509، والبخاري "662" في الأذان: باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، ومسلم "669".

[223] – أخرجه ابن ماجه في السنن (781)، والطبراني في الأوسط (5956)، والحاكم في المستدرك (769)، وتمام في الفوائد (189).

[224] – أخرجه ابن خزيمة (1485)، وابن حبان (2096)، والبزار (463/ كشف)، والبيهقي 3/ 59، والطبراني (13085).

[225] – "مسند أحمد" (21265)، و"صحيح ابن حبان" (2056) و(2057).

✍الجوهرة الثانية عشرة: أجر حج وعمرة:

عن أبي أُمامَةَ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: "مَن خَرَجَ مِن بَيتِه مُتَطَهِّرًا إلَى صَلاةٍ مَكتوبَةٍ، فأجرُه كأجرِ الحاجِّ المُحرِمِ، ومَن خَرَجَ إلَى تَسبيحِ الضُّحَى لا يُنصِبُه إلا إيَّاه، فأجرُه كأجرِ المُعتَمِرِ، وصَلاةٌ على إثرِ صَلاةٍ لا لَغوَ بَينَهُما كِتابٌ في عِلِّيِّينَ"[226]؛ فتأمل أجرك يا مَن يصلي في الجماعة، تفُز بأجرِ الحج والعمرةِ في كل صلاة تصليها، ويا من يصلي في بيته، لقد حَرَمتَ نفسك من كنوزٍ من الحسنات.

✍الجوهرة الثالثة عشرة: أن تعلق قلبك بالمسجد يؤهلك إلى أن تكون في ظل عرش الله:

أن التعلقَ بالمساجد يؤهلك لكي تحظى بظل العرش الذي يكون يوم القيامة، وذلك حينما تدنو الشمسُ من رؤوسِ الناس، ويكونُ الناسُ في عرقهم على قدر ذنوبهم، فيكونُ هناك الظل الكبير لعرشِ الرحمن، ويكونُ تحتهُ ذلك الرجل الذي تعلق قلبه بالمساجد.

---

[226] – أبو داود (558). وأخرجه أحمد (22304) من طريق يحيى بن الحارث به بنحوه. وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (522).

# الكنز التاسع عشر: ليلة القدر

الحمد لله الذي رسَم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلًا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم، ولا يحده الفكر تمثيلًا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيمًا مقتدرًا جليلًا، تقدَّس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

يا رب:

أنا العبدُ الذي كسب الذنوب وصدَّته المعاصي أن يتوبا

أنا المضطرُّ أرجو منك عفوًا ومن يرجو رضاك فلن يَخيبا

فيا مولاي جُد بالعفو وارحَم عبدًا لم يزل يشكو الذنوبا

وسامِح هَفوتي وأجِب دعائي فإنك لم تزل أبدًا مُجيبا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا، عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وحبيبه، فصلوا عليه وسلموا تسليمًا، وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه، وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

بُشراكم أيها الأحباب، فقد أدركتم العشر التي فيها الهدية الربانية والمنح الإلهية، إنها ليلة لها ما لها من المنزلة والثواب والمغفرة.

جرتِ السنون وقدْ مضَى العمْرُ والقلبُ لا شُكرٌ ولا ذِكرُ

هَا قدْ حباكَ اللهُ معفرةً طرقتْ رحابَك هذه العشرُ

إنها الليلة التي هي خير من ألف شهر، خير من ألف شهر جهاد وعبادة، وذلكم عباد الله فضل الله يؤتيه من يشاء.

عشْرٌ وأيُّ العشْرِ يا شهرَ التُّقَى عشْرٌ بها عتقٌ من النيرانِ

فيهَا منَ الأيامِ أعظمُ ليلةٍ بشرَى لقائمِ ليلِها بِجِنانِ

قال الله تعالى عنها: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: 1 – 5].

وهل عرَفتم عباد الله لماذا سماها الله تعالى بذلك؟

✍ سبب تسميتها ليلة القدر:

✍ أولًا: أنه يُقدَّر فيها ما يكون في تلك السنة:

فيُكتَب فيها ما سيَجري في ذلك العام، وهذا من حكمة الله عز وجل وبيان إتقان صنعه وخلقه.

✍ثانيًا: سُميت ليلة القدر من القدر وهو الشرف:

كما تقول فلان ذو قدر عظيم؛ أي ذو شرف؛ لقوله تعالى: { وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، وليلة خير من ألف شهر قدرها عظيم ولا شك.

✍ثالثًا: وقيل لأن للعبادة فيها قدرًا عظيمًا، عن أبي هريرة – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه" [227]، وهذا لا يحصل إلا لهذه الليلة فقط، فلو أن الإنسان قام ليلة النصف من شعبان، أو ليلة النصف من رجب، أو ليلة النصف من أي شهر، أو في أي ليلة – لم يحصل له هذا الأجر!

✍مجوهرات ونفائس ليلة القدر:

وإليكم عباد الله خصائص ومزايا وفضائل تلك الليلة؛ نذكر منها:

✍الجوهرة الأولى: أنها ليلة أنزل الله فيها القرآن؛ قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}:

عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، قال: أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا، كان بموقع النجوم، فكان الله ينزله على رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعضه في إثر بعض، قال عز وجل: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان: 32] [228].

---

[227] – أخرجه البخاري رقم 214.

[228] – إتحاف المهرة (7/ 127 – 7453).

****

الجوهرة الثانية: أنها ليلة مباركة؛ قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان: 3]:

قال القرطبي – رحمه الله – ولها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك، وليلة القدر، ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب [229].

الجوهرة الثالثة: يكتب الله تعالى فيها الآجال والأرزاق خلال العام؛ قال تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: 4]:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} [الدخان: 3، 4]؛ يعني: ليلة القدر، ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل[230].

وأخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد قوله: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}، قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها[231].

الجوهرة الرابعة: فضل العبادة فيها عن غيرها من الليالي، فالعبادة فيها تُساوي عبادة ألف شهر؛ قال تعالى: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: 3].

وورى ابن جرير عن مجاهد قال: «كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدوَّ بالنهار حتى يُمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية {لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}، قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل»[232].

---

[229] – «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (16/ 126).

[230] – «تفسير ابن أبي حاتم» (10/ 3287).

[231] – «تفسير الطبري» (22/ 9 ط التربية والتراث).

[232] «تنوير الحوالك شرح موطأ مالك» (1/ 236).

الجوهرة الخامسة: تنزل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة والمغفرة؛ قال تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر: 4].

قال الزحيلي في تفسيره: ومن فوائد نزول الملائكة أنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات ما لم يروه في سكان السماوات، ويسمعون أَنين العصاة الذي هو أحب إلى الله من زجل المسبِّحين، فيقولون: تعالوا نسمع صوتًا هو أحب إلى ربنا من تسبيحنا.

ولعل للطاعة في الأرض خاصية في هذه الليلة، فالملائكة أيضًا يَطلبونها طمعًا في مزيد الثواب، كما أن الرجل يذهب إلى مكة لتصير طاعاته هناك أكثر ثوابًا[233].

الجوهرة السادسة: ليلة خالية من الشر والأذى، وتَكثُر فيها الطاعة وأعمال الخير والبر، وتكثر فيها السلامة من العذاب، ولا يخلص الشيطان فيها إلى ما كان يخلص في غيرها، فهي سلام كلها، قال تعالى: {سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: 5]، وعن مجاهد في قوله: {سَلَامٌ هِيَ} قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا، أو يعمل فيها أذى.

الجوهرة السابعة: فيها غفران للذنوب لمن قامها واحتسب في ذلك الأجر عند الله عز وجل:

عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه"[234] [متفق عليه].

قال الشعبي: وليلها كيومها، ويومها كليلها.

وقال الفرَّاء: لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم، ويقدِّر في غيرها البلايا والنِّقم، وقال سعيد بن المسيب في الموطأ: من شهد العشاء من ليلة القدر، فقد أخذ بحظه منها، ومثله ومثل ما تقدَّمه لا يدرك بالرأي.

تحري ليلة القدر:

فمذهب أبي بن كعب رضي الله عنه أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، وعلى ذلك أقسم، وتبعه في ذلك تلميذه زر بن حبيش رحمه الله تعالى حتى قال: "لَوْلَا سُفَهَاؤُكُمْ، لَوَضَعْتُ يَدَيَّ فِي أُذُنَيَّ، فَنَادَيْتُ:

---

[233] – «التفسير المنير – الزحيلي» (30/ 335).

[234] – الحميدي (950) و(1007)، وأخرجه البخاري (2014).

أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ، نَبَأُ مَنْ لَمْ يَكْذِبْنِي، عَنْ نَبَأِ مَنْ لَمْ يَكْذِبْهُ، يَعْنِي أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" [235].

وقال زِرٌّ أيضًا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: "كَانَ عُمَرُ، وَحُذَيْفَةُ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَشُكُّونَ أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، تَبْقَى ثَلَاثٌ"[236]؛ رواه ابن أبي شيبة.

وممن روى أحاديث في ليلة سبع وعشرين تثبت أنها ليلة القدر: معاوية بن أبي سفيان وابن عباس وأبو هريرة وابن عمر رضي الله عنهم، فأما مُعَاوِيَةُ رضي الله عنه، فروى عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَوله: "لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وعِشْرِينَ" [237]؛ رواه أبو داود.

وأما ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فروى أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "يا نَبِيَّ الله، إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ يَشُقُّ عَلَيَّ القِيَامُ، فَأْمُرْنِي بِلَيْلَةٍ لَعَلَّ الله يُوَفِّقُنِي فيهَا لَيْلَةَ القَدْر، قالَ: عَلَيْكَ بالسَّابِعَةِ"؛ رواه أحمد.

وَدَعَا عُمَرُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَاجْتَمَعُوا أَنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُلْتُ لِعُمَرَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوْ إِنِّي لَأَظُنُّ أَيَّ لَيْلَةٍ هِيَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَيُّ لَيْلَةٍ هِيَ؟ فَقُلْتُ سَابِعَةٌ تَمْضِي، أَوْ سَابِعَةٌ تَبْقَى مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، يعني ثلاثًا وعشرين أو سبعًا وعشرين [238].

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى: النَّفْسُ أَمْيَلُ إِلَى أَنَّهَا فِي الْأَغْلَبِ لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّهَا سَابِعَةٌ تَمْضِي، أَوْ سَابِعَةٌ تَبْقَى، وَأَكْثَرُ الْآثَارِ الثَّابِتَةِ الصِّحَاحِ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وأما أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فقَالَ: تَذَاكَرْنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ، وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ؟"؛ رواه مسلم [239]، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْفَارِسِيُّ: أَيْ: لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، فَإِنَّ الْقَمَرَ يَطْلُعُ فِيهَا بِتِلْكَ الصِّفَةِ.

---

[235] – «صحيح ابن خزيمة » (2/ 1046):«إسناده حسن. الفتح الرباني 10: 286 – 287»

[236] – رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (8667).

[237] – أخرجه أبو داود "1386" في الصلاة: باب من قال: سبع وعشرون، والطبراني 19/"813"، والبيهقي 312/4

[238] – عبد الرزاق في "مصنفه" (7679).

[239] – صحيح مسلم – كتاب الصيام – باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها (2/ 829)، الحديث رقم: (3324).

وأما ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: رَأَى رَجُلٌ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ أَوْ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي فِي الْوِتْرِ مِنْهَا"؛ رواه أحمد[240].

[240] – وأخرجه أحمد (4547)، والحميدي (634)، ومسلم (1165) (207)، وأبو يعلى (5419، 5484، 5542)، وابن الجارود (405)، والبيهقي في السنن 4/ 308، وفي المعرفة (9073).

## الكنز العشرون: كنوز تعدل عدل الرقاب

الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار، القهار الذي لا تخفى معرفتُه على مَن نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار، القدوس الصمد المتعالي عن مشابهة الأغيار، الغني عن جميع الموجودات، فلا تحويه الجهات والأقطار، الكبير الذي تَحيَّرت العقول في وصف كبريائه، فلا تُحيط به الأفكار، الواحد الأحد المنفرد بالخلق والاختيار، الحي العليم الذي تساوى في علمه الجهرُ والإسرار، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه.

إن الصلاة على المختار إن ذُكرت = في مجلسٍ فاح منه الطيب إذ نفحا

وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه، وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أخي المسلم، نعيش في هذا اللقاء مع كنوز ينال بها المسلم أجرَ عتق الرقاب والقرب من رب الأرباب:

### الجوهرة الأولى: ذكر لا يستغرق دقائق يَعدل عشر رقاب:

عتق أربع أنفس: عن أبي أيوبٍ الأنصاريّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قالَها عشرَ مراتٍ كانَ كمنْ أعتقَ أربعَ أنفسٍ من وَلَدِ إسماعيلَ"[241].

### الجوهرة الثانية: الطواف حول الكعبة المشرفة:

ومن تلك الجواهر التي يُنال بها أجرُ عتق الرقاب: الطواف بالبيت سبعًا؛ عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "مَن طاف بهذا البيت أسبوعًا، فأحصاها

---

[241] – «رواه البخاري 11 / 170 في الدعوات، باب فضل التهليل، ومسلم رقم (2693) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء والترمذي رقم (3584) في الدعوات، باب رقم (116).»

كان كعتق رقبة، لا يضع قدمًا، ولا يرفع أخرى، إلا حطَّ الله عنه بها خطيئة، وكَتَبَ له بها حسنه"[242].

وفي رواية للبيهقي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "مَن طاف بالبيت سبعًا، وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة" [243].

فحَرِيٌّ بكل مسلم إذا شد الرحال إلى الديار المقدسة أن يُكثر من هذا الطواف، ولا يكن حاله كحال مَن يذهب هناك، ويصرف جُلَّ وقته في التطواف والتجوال في الأسواق، فيَحرم نفسه من خيرٍ عظيم لا يجد مثله في أي بُقعة في العالم.

✍الجوهرة الثالثة: الجهاد في سبيل الله عز وجل:

من جواهر تلك الكنوز التي ينال بها أجر عتق الرقاب: الجهاد في سبيل الله؛ عن عمرو بن عنبسة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "مَن رمى العدو بسهم في سبيل الله، فَبَلَغَ العدو، فأصاب أو أخطأ، يعدل رَقبة"[244]، وعن أبي نَجِيحٍ السُّلَميّ قال: سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقولُ: "من رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ اللهِ، فَهو لهُ عَدْلُ مُحَرَّرٍ"[245]؛ أي: مَن رمى بسهم بنية جهاد الكفار، كان له ثواب مثل ثواب عتق رقبة.

✍الجوهرة الرابعة: تقديم العون لأخيك المسلم في صورة قرض حسن، أو إرشاد ضال أو أعمى:

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه عن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من منح مِنحة وَرِقٍ، أو منحة لبنٍ، أو أهدى زُقاقًا، فهو كعتق نسمة"[246].

---

[242] – أخرجه الترمذي (3/292، رقم 959)، وقال: حسن، والحاكم (1/664، رقم 1799) وقال: صحيح.

[243] – أخرجه ابن ماجه (2/985، رقم 2956)، والبيهقى فى شعب الإيمان (3/452، رقم 4042)، وفى السنن الكبرى (5/110، رقم 9212).

[244] – جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير» (9/ 238)، «ورواه البيهقي في السنن الكبرى في ج 9 ص 162».

[245] – وأخرجه أبو داود (3965)، وابن ماجه (2812)، والنسائي 6/ 26 و26 – 27 و27 – 28، وهو عند أحمد (17022)، وصححه ابن حبان (4615).

[246] – «مسند أحمد» (30/ 479 ط الرسالة)، «وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (7202)، وفي "مسند الشاميين" «(767)

ومعنى منحة ورق: أي: أقرض قرضًا، ومعنى منحة لبن: أي أعار جارَه أو زميله بعيرَه؛ لينتفع من لبنه ثم يرده إليه، ومعنى أهدى زقاقًا: أي دل ضالًّا، أو أعمى على طريقه، وقيل: تصدَّق بصف نخلٍ أو شجر، فكل هذه الأعمال الحسنة التي فيها فكُّ كُربة من كُرب إخوانك المسلمين، يُكتَب لك بكل واحدة منها ثوابُ عتق رقبة، ولله الحمد والمنة.

الجوهرة الخامسة: التهليل عشر مرات بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب: ومَن فعل ذلك فله ثواب عشرين رقبة؛ حيث روى أبو أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من قال حين يُصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كتب الله له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحطَّ الله عنه عشر سيئات، ورفعه الله بها عشر درجات، وكنَّ له كعشر رِقاب، وكنَّ له مَسلحةً من أول النهار إلى آخره، ولم يعمل يومئذٍ عملًا يقهرهنَّ، فإن قال حين يمسي، فمثل ذلك"[247].

فهذا التهليل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُهلل به فقط في الصباح والمساء.

وأما التهليل الذي كان يهلل به دُبر كل صلاة، فليس فيه عبارة "يحي ويميت"، فلننتبه لذلك، وإنما كان يقول حين يسلِّم: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، مرة واحدة.

فهنيئًا لمن حافَظ على هذا الذكر بعد الفجر وبعد المغرب؛ لينال هذا الثواب العظيم، فلو افترضنا أن ثمن الرقبة الواحدة يساوي – على الأقل – عشرين ألف ريال، فمعنى ذلك أنك بمحافظتك على هذا الذكر في اليوم الواحد تنال ثواب عشرين رقبة، يعدل ثمنها قرابة أربعمائة ألف ريال، فهلَّا بادَرنا إلى المحافظة على صلاة الفجر والمغرب، لننال ثواب هذا التهليل؟!

الجوهرة السادسة: التهليل مائة مرة لتنال ثواب عشر رقاب:

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من

---

[247] – المسند 5/ 420 والمعجم الكبير 4/ 127 (3883)؛ قال الهيثمي في المجمع 10/ 115: رجال أحمد ثقات، وقد روى ابن ماجه عن ابن عبَّاس الزرقي مثله – دون تحديد العدد "عشرة" 2/ 1272 (3867) – وصحَّحه الألباني.

الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل عملًا أكثر من ذلك"[248].

وهذه الوسيلة لا تَستغرق منك أكثر من أربع دقائق، يُمكنك أن تقولها وأنت في سيارتك، وأنت متجه إلى عملك.

✍الجوهرة السابعة: التكبير والتحميد والتسبيح مائة مرة لتنال ثواب مائة رقبة:

روى ابن ماجه عن أم هانئ – رضي الله عنها – قالت: أتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، دُلَّني على عمل، فإني قد كبرت وضعُفت وبدنت، فقال: "كبِّري الله مائة مرة، واحمدي الله مائة مرة، وسبِّحي الله مائة مرة، خير من مائة فرس مُلجَمٍ مُسْرجٍ في سبيل الله، وخيرٌ من مائة بدنة، وخير من مائة رقبة"[249].

ومعلوم أن مائة رقبة يزيد ثمنُها على مليوني ريال! فمَن قال هذه الأذكار كان كمن تصدَّق بملايين الريالات لله عز وجل.

---

[248] – أخرجه مالك (209/1، رقم 488)، وابن أبي شيبة (60/6، رقم 29476)، وأحمد (302/2، رقم 7995)، والبخاري (1198/3، رقم 3119)، ومسلم (2071/4، رقم 2691).

[249] – أخرجه ابن ماجه (1252/2، رقم 3810) [الصحيحة: 3/ 304، تحفة: 18014].

# الكنز الحادي والعشرون: الشكر

الحمد لله ربِّ العالمين، إله الأولين والآخرين، وقيُّوم السماوات والأرضين، سبحانه سبحانه، بهرت عظمته قلوب العارفين، وأظهَرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأَرساها، وأرسل الرياح فأجراها، ورفع السماء فأعلاها، وبسَط الأرض فدحاها، الملائكة مِن خشيته مُشفقون، والرسل مِن هيبته خائفون، والجبابرة لعظمته خاضعون، {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الروم: 26]، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، القيُّوم الصمد، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ، لا مغيث غير الله، ولا مُجير غير الله، ولا مُعين غير الله، ولا ناصر غير الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي المصطفى والرسول المجتبى، الرحمة لمهداة والنعمة المسداة، صاحب المقام المحمود والحوض المورود، والشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين، اللهم صلِّ عليه وسلم على آله وأصحابه.

اعلم أخي القارئ بارك الله فيك أن فضل الشكر عظيم، فهو مِفتاح لزيادة النعم، وتحقيق رضا الله، ودخول الجنة، وهو نصف الإيمان، وسبب للأمان من العذاب، ويظهر كمال الإيمان وسمو النفس، ويقترن بالشكر باللسان والجوارح، ويجعل صاحبه من عباد الله الشكورين الذين يُحبهم الله ويثني عليهم؛ قال ابن القيِّم: الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبَّة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة[250].

## حكم الشكر:

شكر الله تعالى: حكمه واجبٌ شرعًا من حيث الجملة، فلا يجوز تركه بالكلية؛ إذ إن الإكثار منه مستحب، وذلك في مواضع؛ منها: أن تحمد الله عز وجل على الطعام والشراب واللباس والصحة.

## الشكر يقابل الكفر:

أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقرأ القرآن ليرى تلك القاعدة: أن الشكر يقابله الكفر، إن الله تعالى جعل للإنسان طريقين: الشكر والكفر؛ يقول تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: 3]، وهكذا ندرك أن الشكر فريضة على المسلم، وليس مجرد عادة تهدف إلى جلْب الثروة أو النجاح أو الشهرة! ولذلك قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ

---

[250] – "مدارج السالكين (2/ 244)".

كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: 7]؛ تأملوا معي المنزلة التي يحتلها الشكر في الإسلام، إذا لم تشكر الله فإن عذاب الله شديد! ولكن عندما تشكر الله تعالى، فإن الله سيرزُقك ويزيدك مالًا ونجاحًا وقوة: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}، أليس هذا ما يؤكده الخُبراء من غير المسلمين؟

الجوهرة الأولى: الشكر صفة الأنبياء:

قال تعالى عن نوح عليه السلام: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: 3].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: 120–121].

وسيد الشاكرين نبينا صلى الله عليه وسلم؛ عَنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُومُ عَامَّةَ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: أَلَيْسَ قَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا"[251].

الجوهرة الثانية: الشكر استجابة وطاعة لأمر الله:

قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152]، وقال: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: 12].

وأمر به نبينا صلى الله عليه وسلم {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: 65].

وأمر الله تعالى به موسى عليه السلام {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف: 144].

وأمر به المؤمنين {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172].

---

[251]– رواه البخاري (1130)، ومسلم (2819).

وقال: {وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: 33-35].

وقال: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: 71-73].

الجوهرة الثالثة: الشكر من صفات المؤمنين:

ففي صحيح مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[252].

الجوهرة الرابعة: الشكر سبب لرضا الله عن عبده:

قال تعالى: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [الزمر: 7]، قولُه: {وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}، يقولُ: وإن تؤمِنوا بربِّكم وتُطِيعوه، يَرْضَ شُكْرَكم له، وذلك هو إيمانُهم به وطاعتُهم إياه، فكَنى عن الشكرِ ولم يُذْكَرْ، وإنما ذَكَر الفعلَ الدالَّ عليه، وذلك نظيرُ قولِ اللهِ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: 173].

الجوهرة الخامسة: أمان من العذاب:

قال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: 147].

قال قتادة رحمه الله: "إن الله جل ثناؤه لا يعذِّب شاكرًا ولا مؤمنًا" [253].

وقيل: الشكر: قيد الموجود، وصيد المفقود.

حُكي عن داود عليه السلام أنه قال: أي رب كيف أَشكرك، وشكري لك نعمة مجددة منك علي؛ قال: يا داود، الآن شكرتني.

---

[252]- وأخرجه مسلم (2999)، وابن حبان (2896)، وابن قانع في "معجمه" 2/ 18، والطبراني في "الكبير" (7316)، وفي "الأوسط" (3861)، والبيهقي في "السنن" 3/ 375".

[253]- "تفسير الطبري: 342/9".

قلت: فحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم، وألا يَصرِفها في غير طاعته، وأنشد الهادي وهو يأكل: أَنالك رزقه لتقوم فيه بطاعته، وتشكر بعض حقه، فلم تشكر لنعمته، ولكن قويت على معاصيه برزقه، فغُصَّ باللقمة، وخَنقته العَبرة.

الجوهرة السادسة: سبب للزيادة:

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: 7].

قال بعض السلف رحمهم الله تعالى: "النعم وحشية فقيِّدوها بالشكر".

وقال الحسن البصري: "إن الله ليمتّع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ لأنه يحفظ النعم الموجودة، والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة"[254].

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لرجل من همذان: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"[255].

الجوهرة السابعة: الثواب الجزيل في الآخرة:

قال تعالى: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 145]، وقال سبحانه: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144].

أهل الشكر هم المخصوصون بمنَّة الله عليهم من بين عباده، فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: 53].

الجوهرة الثامنة: رضا الله تعالى:

يقول ابن القيم – رحمه الله –: "ومن منازل {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة: 127] منزلة الشكر، وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة ((الرضا)) وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر؛ إذ يستحيل وجود الشكر بدونه"[256].

---

[254]– «الشكر لابن أبي الدنيا» (ص11).

[255]– أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/127، رقم 4532).

[256]– «مدارج السالكين» (2/ 232 ط الكتاب العربي).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ليرضى عن العبد أن يأكُل الأكلة، فيحمَده عليها، ويشرب الشربة، فيحمده عليها [257].

ففي هذا دليلٌ على أن رضا الله – عزَّ وجلَّ – قد ينال بأدنى سببٍ، قد ينال بهذا السبب اليسير ولله الحمد، يرضى الله عن الإنسان إذا انتهى من الأكل، قال: الحمد لله، وإذا انتهى من الشرب قال: الحمد لله، وذلك أن للأكل والشرب آدابًا فعلية وآدابًا قولية.

الجوهرة التاسعة: أن تكون من القلة المحمودة:

إن الله وصف عباده الشاكرين بأنهم قلة من عباده، فقال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: 13].

إن المتصفح لحال الناس يجد أكثرهم جاحدين لنعم الله، متبرِّمين كثيري التشكي، وأن أقلهم هم الشاكرون المعترفون بفضل الله عليهم وإنعامه، وقد أثبَت الله هذا في كتابه لما تكلَّم عن الشاكرين، قال: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}.

لو لم تكن عبادة الشكر ثقيلةً على الناس، وصعبة المنال، وكذلك عظيمة الشأن عند الله – ما كانت وصية المحب لحبيبه، واصطفاء الصفيّ لصفيه؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أخذَ بيدِهِ، وقالَ: يا مُعاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أُوصيكَ يا معاذُ، لا تدَعنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ))[258].

---

[257]– صحيح؛ أخرجه مسلم (2734)، وأحمد (12168).

[258] –أخرجه أبو داود (1522)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (109)، والبزار في "مسنده" (2661)، وابن خزيمة (751)، وابن حبان (2020) و(2021)، والطبراني في "الكبير" 20/ (110)، وفي "الدعاء" (654)، والحاكم 1/ 273 و3/ 273 – 274، وأبو نعيم في "الحلية" 1/ 241 و5/ 130.

## الكنز الثاني والعشرون: البكاء من خشية الله

الحمد لله ربِّ العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخِرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المجاهدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ناشري لواء الدين، وعلى مَن تبِعهم من سلف هذه الأمة وخلَفها ممن جاهد وبذل ورافَق ونافح في كل وقت وحين.

معشر الإخوة، حيَّاكم الله وأحياكم، وأطال أعماركم، وأحسَن أعمالكم، وذخرًا للأمة أعدَّكم، تُعْلُون صروحها، وتَضمِدون جروحها، وتُداوون قرُوحها، وللمِلَّة تسْمُون في سماها، وتَحمون حماها، وترمون من رماها.

إن البكاء من خشية الله مِن الأعمال الصالحة التي خصَّها الله بالأجر العظيم، ورفع ثوابها وأجزل لصاحبها الخير، وقد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم؛ قال تعالى: {قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء: 107 – 109]، وقال جل جلاله: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: 83].

هيا أخي الصائم الكريم لنفتح كنز البكاء؛ لنرى ما فيه من جواهر غالية:

### الجوهرة الأولى: المظلة الربانية:

قد جعل الله البكاء من خشية الله في الخلوة سببًا لأن يَنعَم العبد بظل عرش الرحمن يوم القيامة، وهو أجر عظيم على عمل يسير، ولكنه مع ذلك يحمل في طيَّاته معنيين خطيرين، لهما من الأهمية في دين الله ما الله به عليم، حتى إن فِقدان أحدهما مُهلك لصاحبه، فالمعنى الأول هو خشية الله، وهي التي ما تحل في قلب خَرِب حتى تَعمُره، ولا تدخل على عاص حتى تردَّه، ولا ينجو العبد إلا بها، وأما المعنى الثاني فهو الإخلاص، فالعبد الذي يذكر الله خاليًا، فتَفيض عيناه لا يريد بذلك إلا مرضاة ربِّه فقط، فما من أحدٍ ليراه، فهو مخلص لربه حريص على مرضاته، ومعلوم ما للإخلاص من وزن في دين الله، فبلا إخلاص يَهلِك العبد ولا بد، ويذهب العمل هباءً منثورًا، ولذا استحقَّ مَن يذكر ربَّه خاليًا،

فتَفيض عيناه أن يكون في هذا الفضل العظيم يوم القيامة، فيُظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلَم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[259].

✍الجوهرة الثانية: الحجاب من النار:

قد جعل الله البكاء من خشيته حجابًا لتلك العين عن النار فلا تَمسها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"[260]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حُرم على عينين أن تنالهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من الكفر"[261].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضَّرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم[262].

✍الجوهرة الثالثة: محبة الله تعالى:

قد ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدموع من خشية الله هي من أحب الأشياء إلى الله جل جلاله؛ ففي الحديث الحسن عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس

---

[259] – رواه أحمد (2/ 439)، والبخاري (660)، والترمذي بعد حديث (2391)، والنسائي (8/ 222 – 223).

[260] – الترمذي (1639)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال محقق جامع الأصول (9/ 487): حديث صحيح بشواهده.

[261] – أخرجه الحاكم (92/2، رقم 2431)، والبيهقي في شعب الإيمان (16/4، رقم 4235)، وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص 422، رقم 1447)، والبخاري في الكنى (50/1، رقم 436).

[262] – صحيح؛ أخرجه النسائي 6/ 12، ووكيع في الزهد (23)، والبيهقي في الشعب (801)، وأخرجه مرفوعًا الترمذي (1633)، والحاكم 4/ 260، وابن المبارك في الجهاد (30)، وهناد في الزهد (465)، وأحمد (10560)، والبغوي (2620)، والحميدي (1091)، وابن حبان (4607).

شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين؛ قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله، وأما الأثران، فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله عز وجل"[263].

الجوهرة الرابعة: النجاة:

قد تعلقت النجاة بالبكاء مع إمساك اللسان ولزوم البيت، فقد روى الترمذي في سننه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسِك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابْكِ على خطيئتك"[264].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن ملَك نفسه، ووسِعه بيته، وبكى على خطيئته[265].

---

[263] – إسناده حسن، وأخرجه ابن أبي عاصم في "الجهاد" (108)، والطبراني في "الكبير" (7918)، وابن عدي في "الكامل" 7/ 2543).

[264] – رواه الترمذي (2406)، ورواه الطبراني 17/ 270، وأبو نعيم في "الحلية" 2/ 9، والبيهقي في "الشعب" 1/ 492 (805)، وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (3331): صحيح لغيره.

[265] – الطبراني في الصغير (212)، وفي مسند الشاميين (548)، وأخرجه أحمد في الزهد (ص/ 29)، وابن أبي عاصم الزهد (34)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (3929)، وصحيح الترغيب والترهيب (2740).

## الكنز الثالث والعشرون: كنز المراقبة

الحمد لله الذي زيَّن قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجلَ والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتب، ولا في أيِّ الفرقين يُساق، فإن سامَح فبفضله، وإن عاقَب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أَعُدُّها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

ومن درر الوصايا الوصيةُ بالمراقبة؛ حيث إن لقمان غرس في نفس ابنه اطِّلاع الله تعالى على كل شيء في الأرض وفي السماء، فقال: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: 16].

المراقبة هي أعظم مقامات الإيمان بالله تعالى، ومن جاء بها وحقَّقها، فقد حقق لنفسه المنى، وفاز بمن أعده الله لأهلها من القرب منه سبحانه في دار كرامته، وقبل أن نتكلم على هذا الضمان، نقف منع حقيقة المراقبة، فما حقيقة المراقبة؟

قال الحارث المحاسبي: المراقبة علمُ القلب بقُرب الرب، وسُئل الجنيد بِمَ يُستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبقُ إلى ما تنظره.

المراقبة في ثلاثة أشياء: مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه، ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها، ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والإعلان؛ قال تعالى: {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} [القصص: 69]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[266].

**********

[266] – وأخرجه الطيالسي (21)، والبخاري في " خلق أفعال العباد " (190)، ومسلم (8) (2).

جواهر المراقبة:

الجوهرة الأولى: أن المراقبة سببٌ من أسباب دخول الجنة؛ قال تعالى: {هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} [الرحمن: 60].

قال ابن القيم مفسرًا الآية: "الإحسان جامع لجميع أبواب الحقائق، وهو أن تعبُد الله كأنك تراه... وفي الحديث إشارة إلى كمال الحضور مع الله عز وجل، ومراقبته، ومحبَّته ومعرفته، والإنابة إليه، والإخلاص له، ولجميع مقامات الإيمان".

وسُئل ذو النون: بِمَ يُنال العبد الجنة؟ فقال: بخمس، وذكر منها: "ومراقبة الله في السر والعلانية".

وقال عَزَّ من قائل: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة:112].

قال أبو السعود: "وحقيقة الإحسان الإتيانُ بالعمل على الوجه اللائق، وهو حسنُه الوصفي التابع لحُسْنِه الذاتي، وهو ما فسَّره صلى الله عليه وسلم: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) (267).

{فَلَهُ أَجْرُهُ} الذي وعده به على عمله، وهو عبارة عن دخول الجنة، أو عما يدخل فيه دخولًا أوليًّا".

الجوهرة الثانية: أن بها يكسب العبد رضا الله سبحانه وتعالى عنه:

قال تعالى: {رضي اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خشي رَبَّهُ} [البينة:8].

قال أهل العلم: "ذلك لمن راقَب ربه عز وجل، وحاسَب نفسه وتزوَّد لمعاده".

الجوهرة الثانية: أنها من أعظم البواعث على المسارعة إلذ الطاعات:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء:101].

قال القصري: "إذا عرف العبد مقام الإحسان، سارَع إلى طاعته قدر وُسعه، فهذا حال المحب الذي يعبد الله كأنه يراه".

---

(267) – أخرجه أحمد (426/2، رقم 9497)، والبخاري (27/1، رقم 50)، ومسلم (39/1، رقم 9)، وابن ماجه (25/1، رقم 64).

الجوهرة الثالثة: أن بها يحصل العبد على معية الله وتأييده:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} [النحل:128].

قال ابن كثير: "أي معهم بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معية خاصة".

الجوهرة الرابعة: أنها تعينه على ترك المعاصي والمنكرات:

قال ابن الجوزي: "فقلوب الجهال تستشعر البُعْد، ولذلك تقع منهم المعاصي؛ إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر، لكفُّوا الأكُفَّ عن الخطايا، والمتيقظون علموا قربَه، فحضرتهم المراقبة، وكفَّتهم عن الانبساط".

وقال ابن القيم: "فإن الإحسان إذا باشَر القلب منعه من المعاصي، فإن من عبد الله كأنه يراه، لم يكن ذلك إلا لاستيلاء ذِكره ومحبته وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنه يشاهده، وذلك يحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلًا عن مواقعتها".

وقال أيضًا: "فمن راقب الله في سره، حفِظه الله في حركاته في سره وعلانيته"[268].

الجوهرة الخامسة: أنها من أفضل الطاعات وأعلاها:

قال ابن عطاء: "أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات".

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: {وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة:195]: "ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات، ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء... ثم عطَف بالأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة"[269].

الجوهرة السادسة: أنها من خصال الإيمان وثمراته:

قال القصري: "فأما كونه من الإيمان فبيِّنٌ؛ لأنه في نفسه تصديق بالنظر إلى الله في الحال، أو تصديق بأن الله ينظر إليه، إلا أنه ثمرة الإيمان، وأعلاه وخالصه".

---

[268] – «مدارج السالكين» (2/ 307 ط عطاءات العلم).

[269] – «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (1/ 530).

# الكنز الرابع والعشرون: مجالس العلم

الحمد لله الذي زيَّن قلوب أوليائه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابًا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجلَ والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كُتب، ولا في أيِّ الفرقين يُساق، فإن سامَح فبفضله، وإن عاقَب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أَعُدُّها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

يا رب:

يظن الناس بي خيرًا وإني = أشرُّ الناس إن لم تعفُ عني

وما لي حيلةٌ إلا رجائي = وجودُك إن عفوتَ وحُسن ظني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، البشير النذير السراج المنير، الذي عمَّ نوره الآفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوفٌ ولا محاق، الحبيب القريب الذي أُسري به على البراق، إلى أن جاوَز السبع الطباق، وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أنفسُ النفائسِ، وأطيبُ المغارسِ، وخيرُ المجالسِ مجالسُ الذكرِ والعلمِ، هي أجلُّها وأزكاها، وأطيبُها وأنماها، وأحسنُها عاقبةً، وأعظمها فائدةً، وأجلها عائدةً، هي نور المقتبِس، وعون الملتمس، وأُنس المبتئِس، ودرعُ المحترِس، هي روضُ عِلْم لا تعرف الذَّوَى أزهارُه، ومجموعُ فضلٍ لا تخفى على العين آثارُه، فيا فوز من استمتع بجناها، واستضاء بسناها.

والعلمُ أنفسُ شيءٍ أنتَ داخِرُه = فلا تَكُنْ جاهلًا تستورثُ النَّدَمَا

تعلَّم العلمَ واجلِسْ في مجالسه = ما خابَ قطُّ لبيبٌ جالَس العُلَمَا

يقول أبو بكر الجزائري: إن فضل العلم لعظيم، وإن شرفه لعالٍ رفيع، فكم مِن وضيع رفعَه العلم إلى مصافِّ الشُّرفاء، وكم من حقير نظَمه العلم في سِلك العظماء، به شرُف آدم في الملأ الأعلى، وبه فاز أهله بالدرجات العلا؛ قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة: 11].

ولو لم يكن العلم أشرفَ شيءٍ في الحياة، لَما طلب الله جل جلاله من رسوله أن يسأله المزيد منه في قوله: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114] [270]، ونور العلم لا يحجبه سبع سماوات، والشمس تغيب ليلًا، والقمر يَخفى نهارًا، ونور العلم لا يغيب ليلًا ولا نهارًا، بل هو هو، وهو في الليل آكَدُ، {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل: 6].

والقمران يفنيان والعلم لا يَفنى، والقمران ينكسفان والعلم لا ينكسف، والقمران تارة يضران وتارة ينفعان، والعلم ينفع ولا يضر بشرطه، والقمران في السماء زينة لأهل الأرض، والعلم في قلب المؤمن وهو في التحت، ويضيء ما فوقه وما تحته، وبهما ينكشف وجود الخلق، وبالعلم ينكشف وجود الخالق، وضوءُهما يقع على الولي والعدو، والعلم ليس إلا للولي، وشعاع الكواكب إلى أسفل، وشعاع العلم يصعد إلى العلو، والكواكب تَطلُع من خزانة الفلك، والعلم يطلع من خزانة الملك، والكواكب علامة، والعلم كرامة، والكواكب موضع نظر المخلوقين، والعلم موضع نظر ربِّ العالمين، والكواكب نفعها في الدنيا، والعلم نفعه في الدنيا والآخرة، والشمس تُسوِّد الأشياء، والعلم يُبيِّضها، والشمس تحرق والعلم ينجي، والقمر يُبلي الثياب، والعلم يجدد المعارف لأولي الألباب، وإنما كانوا كالمصابيح في الآخرة؛ لأن الناس يحتاجون إلى العلماء في الموقف في الشفاعة، بل وبعد الدخول، فينتفع بهم فيها كالمصابيح، ولذا يقال: إن ذات العالم تُكسى نورًا يضيء كالمصباح حقيقةً، ألا ترى أن هذه الأمة تُدعى غرًّا مُحجلين من آثار الوضوء، فالعالم يتميز عن آحاد المؤمنين بأن تصير جنته كلها مضيئة، فنعمة العلم أفخرُ النعم، وأجزل القِسَم، ومَن أُوتيه فقد أُوتي خيرًا كثيرًا)؛ ا هـ[271].

فالعلم هو النور في الظُّلَم، والأنيس في الوَحدة، والوزير عند الحادثة، فإن اشتغل القلب به دلَّه على المعبود الحق سبحانه وتعالى، فإن القلب له مواطن يجول فيها؛ يقول ابن القيم – رحمه الله – في بيان منزلة العلم وأهله: استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه، وهو توحيده، فقال سبحانه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: 18]، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه.

أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

ثانيها: اقتران شهادتهم بشهادته.

---

[270] – العلم والعلماء ص 17.

[271] – فيض القدير 1 / 107.

الثالث: أن في ضمن تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يشهد من خلقه إلا العدول...")[272].

الجوهرة الأولى: الطريق إلى الجنة:

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمَع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشِيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يُسرع به نسبُه[273].

الجوهرة الثانية: رضا الملائكة:

عن زِر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه، فقال: ما جاء بك، قلت: أنبط العلم – أَطلُبه – قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من خارجٍ خرَج من بيته في طلب العلم، إلا وضَعت له الملائكة أجنحتها رضًا مما صنَع( [274].

فتأمل دلالة الحديث الشريف على فضل طالب العلم، وكيف أن الملائكة المقرَّبين يضعون لهم أجنحتها رضًا بما يصنعون؛ وفي ذلك تشريفٌ لهم ورفعٌ لمنزلتهم.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من غدا يريد العلم يتعلَّمه لله، فتح الله له بابًا إلى الجنة، وفرَشت له الملائكة أكتافها، وصلَّت عليه ملائكة السماوات، وحيتان البحر، وَلِلْعَالِمِ مِنَ الْفَضْلِ عَلَى الْعَابِدِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى أَصْغَرِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظه)[275].

---

[272] – مفتاح دار السعادة جـ 48/1.

[273] – أخرجه أحمد (252/2، رقم 7421)، ومسلم (2074/4، رقم 2699)، وأبو داود (287/4، رقم 4946)، والترمذي (195/5، رقم 2945)، وابن ماجه (82/1، رقم 225)، وابن حبان (292/2، رقم 534).

[274] – جامع الأحاديث – (19 / 152)أخرجه عبد الرزاق (204/1، رقم 793)، وأحمد (239/4، رقم 18118)، وابن ماجه (82/1، رقم 226)، وابن حبان (285/1، رقم 85)، والطبراني (56/8، رقم 7352)، والحاكم (180/1، رقم 340) وقال: هذا إسناد صحيح. والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب ح 85.

[275] – أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (202/1) وصححه الألباني في صحيح.

الجوهرة الثالثة: أن تنال أجر المجاهدين ومنزلتهم:

جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله؛ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن جاء مسجدي هذا، لم يأتِه إلا لخير يتعلَّمه أو يعلِّمه، فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك، فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره))[276].

قال السندي (ت 1138هـ): "أراد مسجده، وتخصيصه بالذكر إما لخصوص هذا الحكم به، أو لأنه كان محلًّا للكلام حينئذٍ، وحكم سائر المساجد كحكمه... ووجه مشابهة طلب العلم بالمجاهد في سبيل الله أنه إحياء للدين، وإذلالٌ للشيطان، وإتعاب للنفس، وكسر ذرى اللذة، كيف وقد أُبيح له التخلُّف عن الجهاد، فقال تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة: 122]؟

قوله: ((ومن جاءه لغير ذلك))؛ أي: ممن لم يأتِ الصلاة كما تقدم.

قوله: ((فهو بمنزلة... إلخ))؛ أي: بمنزلة من دخل السوق لا يبيع ولا يشتري، بل لينظر إلى أمتعة الناس، فهل يحصل له بذلك فائدة؟ فكذلك هذا"[277].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (مَن رأى الغدو والرَّواح إلى العلم ليس بجهادٍ، فقد نقص عقله ورأيه).

وقال الحسن البصري: يوزن مدادُ العلماء بدماء الشهداء، فيَرجُح مدادُ العلماء.

الجوهرة الرابعة: العلم نور البصيرة:

إنه نور يُبصر به المرء حقائق الأمور، وليس البصر بصر العين، ولكن بصر القلوب؛ قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج: 46]، ولذلك جعل الله الناس على قسمين؛ إمَّا عالم أو أعمى، فقال الله تعالى: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى} [الرعد: 19].

---

[276] –رواه ابن ماجه (باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم – رقم: 227)، قال المحقق محمد فؤاد عبدالباقي: في الزوائد إسناده صحيح على شرط مسلم.

[277] –السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه – دار الجيل – بيروت، بدون طبعة – ج 1 – ص 100، 101.

الجوهرة الخامسة: العلم يورث الخشية من الله تعالى:

قال الله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} [الإسراء: 107 – 109].

الجوهرة السادسة: طلب الاستزادة من العلم:

أمرنا الله تعالى بالاستزادة من العلم، وكفى بها مِن مَنقبة عظيمة للعلم، فقال الله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه: 114]؛ قال القرطبي: فلو كان شيءٌ أشرفَ من العلم، لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يَستزيده من العلم.

# الكنز الخامس والعشرون: مجالس الذكر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا؛ أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ مجالس ذِكْرِ الله تعالى لها فضائل كثيرة، أحببتُ أن أُذَكِّرَ بها نَفْسي وإياكم أيها الإخوة الكِرام، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

الجوهرة الأولى: ذكر الله تعالى لمن ذكره:

قال الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: 152].

وهو أعلى المطالب وأغلى الفضائل، أن يَذكُرَك الله تعالى وهو مَن هو وأنت مَن أنت؛ قال تعالى: {فاذكروني أذكركم}.

• "قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾، قَالَ: اذْكُرُونِي فِيمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكُمْ أَذْكُرْكُمْ فِيمَا أَوْجَبْتُ لَكُمْ عَلَى نَفْسِي، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: اذْكُرُونِي بِطَاعَتِي أَذْكُرْكُمْ بِمَغْفِرَتِي"[278].

• روى البخاريُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً)) [279].

---

[278] –(تفسير ابن كثير – جـ1 – صـ 336).

[279] – (البخاري – حديث: 7405).

الجوهرة الثانية: بذكر الله تعالى تطمئن القلوب:

قال سُبحانه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28].

قَال الشيخ أحمد مصطفى المراغي رحمهُ اللهُ: "قوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾؛ أي: ألا بذكر الله وحده تطمئنُّ قلوب المؤمنين، ويزول القلق والاضطراب من خشيته، بما يُفيضه عليها من نور الإيمان الذي يذهب الهلع والوحشة"[280].

الجوهرة الثالثة: استجابة لأمر الله تعالى:

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب: 41، 42].

قَال الإمامُ القرطبي رحمهُ اللهُ: "أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِأَنْ يَذْكُرُوهُ وَيَشْكُرُوهُ، وَيُكْثِرُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ تَعَالَى ذَلِكَ دُونَ حَدٍّ؛ لِسُهُولَتِهِ عَلَى الْعَبْدِ، وَلِعِظَمِ الْأَجْرِ فِيهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمْ يُعْذَرْ أَحَدٌ فِي تَرْكِ ذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ غُلِبَ عَلَى عَقْلِهِ"[281].

الجوهرة الرابعة: السبق والفوز:

- روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ))، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)) [282].
- روى الترمذيُّ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: ((لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ))؛ (حديث صحيح) [283].

---

[280] – (تفسير المراغي – جـ13 – صـ 100).

[281] – (تفسير القرطبي – جـ14 – صـ 197).

[282] –(مسلم، حديث 2676).

[283] –(صحيح الترمذي للألباني، حديث 2688).

✍الجوهرة الخامسة: ذكر الله أفضل الأعمال:

• وَروى الترمذيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟))، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى))[284].

• روى مسلمٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[285].

✍الجوهرة السادسة: ذكر الله حياة والغفلة عنه موت:

• روى الشيخانِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)) [286].

✍ الجوهرة السابعة: مجالسة الملائكة:

روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) [287].

✍الجوهرة الثامنة: ذكر الله أخف الطاعات وأثقلها في الميزان:

• روى الشيخانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)) [288].

---

[284] – (البخاري، حديث 7405 / مسلم حديث 2067).

[285] –(مسلم، حديث 223).

[286] –(البخاري، حديث 6407 / مسلم، حديث 779).

[287] –(مسلم، حديث 2700).

[288] – (البخاري، حديث 6406 / مسلم، حديث 2072).

## الجوهرة العاشرة: العطايا الربانية:

ومجالس الذكر مجالس يغفر الله لأهلها ذنوبَهم، فهي مجالس مغفرة وعفو وتوبة.

روى الشيخانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ))، قَالَ: ((فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا))، قَالَ: ((فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟))، قَالَ: ((فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ، مَا رَأَوْكَ؟))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟))، قَالَ: ((يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ))، قَالَ: ((يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً))، قَالَ: ((فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ))، قَالَ: ((يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا))، قَالَ: ((يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟))، قَالَ: ((يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً))، قَالَ: ((فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ))، قَالَ: ((يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ)). قَالَ: ((هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ))[289].

## الجوهرة الحادية عشرة: أن في القلب قسوةً لا يُذيبها إلا ذكر الله تعالى، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى:

ذَكَر حماد بن زيد عن المُعَلَّى بن زياد أن رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي، قال: أَذِبْهُ بالذِّكر، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة، اشتدت به القسوة، فإذا ذكر اللهَ تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرَّصاص في النار، فما أُذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل، فالقلوب مريضة، وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى؛ قال مكحول: ذِكْرُ الله تعالى شفاء، وذِكْرُ الناس داء، فإذا ذَكَرَتْهُ شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست، كما قيل:

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكرِكُمُ  فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ [290]

---

[289] – (البخاري، حديث: 6408، مسلم حديث: 2689).

[290] –«الوابل الصيب» (1/ 171).

# الكنز السادس والعشرون: سلامة القلب

الحمد لله الذي وفَّق العاملين لطاعته، فوجدوا سعيهم مشكورًا، وحقَّق آمال الآملين برحمة، فمنحهم عطاءً موفورًا، وبسط بِساطَ كرمه للتائبين، فأصبَح وِزرَهم مغفورًا، وأَسبَل مِن نعمه على الطالبين وابلًا غزيرًا، سبحانه فتح الباب للطالبين، وأظهَر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنةَ القاصدين، وقال في كتابه المبين: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، الذي سبَّح نفسه بما أولاه من ودِّه، فقال جل وعلا: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: 1].

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تَستوجب التَّفضيلا فصلُّوا عليه بكرةً وأصيلَا

مُلئت بنبوَّته الوجود فأظهَرا بحسامه الدين الصحيح فأسفَرا

ومَن لم يُصلِّ عليه كان بخيلًا فصلُّوا عليه وسلموا تسليمَا

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهْجه وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

فإن أمة الإسلام أمةُ صفاء ونقاء في العقيدة والعبادات والمعاملات، وقد نهى النبي عما يوغر الصدور ويبعث على الفُرقة والشحناء؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُهَاجِرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»، قَالَ مَالِكٌ: «لَا أَحْسِبُ التَّدَابُرَ إِلَّا الْإِعْرَاضَ عَنْ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ فَتُدْبِرَ عَنْهُ بِوَجْهِكَ»[291].

[291] –أخرجه البخاري، 6076 في الأدب، ومسلم، البر والصلة: 23.

وقال حاثًّا على المحبة والألفة:

الجوهرة الأولى: سلامة الصدر علامة من علامات الإيمان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[292].

الجوهرة الثانية: سلامة الصدر سبب لنيل شرف الأفضلية:

عندما سُئل النبي: أيُّ الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرِفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد[293].

الجوهرة الثالثة: سلامة الصدر صفة من صفات أهل الجنة:

سلامة الصدر نعمةٌ من النعم التي تُوهَب لأهل الجنة حينما يدخلونها: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر: 47]، وسلامة الصدر راحة في الدنيا وغنيمة في الآخرة، وهي من أسباب دخول الجنة.

الجوهرة الرابعة: سلامة الصدر موجبة لدخول الجنة:

سلامة الصدر من أسباب دخول الجنة، فعن أنس بن مالك قال: كنا جلوسًا مع الرسول، فقال: يَطلُع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تَنطِفُ لِحيته من وضوئه، قد تعلَّق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي تبِعه عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيتُ أبي، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلتَ، فقال: نعم، قال أنس: وكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه، ذكر الله عز وجل، وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال، وكدتُ أن أحتقر عمله، قلت: يا عبدالله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب، ولا هجر، ولكن سمعت

---

[292] – أخرجه مسلم (54)، وأحمد (9085).

[293] – أخرجه: ابن ماجه (4216)، وصحّحه الألباني في «صحيح السنن».

رسول الله يقول لك ثلاث مِرار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملُك، فأَقتدي به، فلم أرك تعمل كثيرَ عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أَحسُد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نُطيق)؛ [رواه الإمام أحمد][294].

الجوهرة الخامسة: سلامة الصدر سبب لعظم الأجر:

عن سفيان بن دينار قال: قلت لأبي بشير وكان من أصحاب علي: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا، قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: لسلامة صدورهم [295].

الجوهرة السادسة: سلامة الصدر سبب لحسن الخاتمة:

عن زيد بن أسلم قال: دُخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقيل له: ما لوجهك يتهلَّل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين، أما إحداهما: فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليمًا[296].

وقال قاسم الجُوعي رحمه الله تعالى: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأقصرُ طرق الجنة سلامة الصدر.

## * أمثلة من حياة الصالحين:

هذا سيد ولد آدم أجمعين عليه صلوات رب العالمين، يذهب إلى الطائف عارضًا نفسه على وُجهائها وأهلها، فلم يُجبه منهم أحد، فانطلق مهمومًا، وإذا هو بسحابة قد أظلَّته فيها جبريل، ومعه ملك الجبال، فناداه ملك الجبال: "إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمُرني بأمرك، فما شئت، إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين – جبلين بمكة – فقال صاحب

---

[294] – "مصنف عبد الرزاق" (20559)، ومن طريقه أخرجه البزار (1981 – كشف الأستار)، والبيهقي في "الشعب" (6605)، وابن عبد البر 6/ 121 – 122، والبغوي (3535)، وأخرجه النسائي في "عمل اليوم والليلة" (863).

[295] – «الزهد لهناد بن السري» (2/ 600).

[296] – «الصمت وآداب اللسان» (ص95).

الصدر السليم صَلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يُخرج الله مِن أصلابهم مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا"[297]، فأي صبرٍ وسلامة صدر هذا؟!

ثم تأمل حاله صَلى الله عليه وسلم حين ضربه قومه فأدْمَوه – (أسالوا دمه) – فمسح الدم وهو يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[298].

واستحضِر معي حالة المشركين معه صلى الله عليه وسلم في مكة، وقد آذَوه وسَعوا في قتله، حتى خرج من بين أظهرهم، وكان الأمر كما أخبر الله عز وجل: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: 30]، فلما مكَّن الله له ودخل مكة فاتحًا، ما انتقم ولا آذى، بل قال لقومه: "لا تثريب عليكم اليوم"[299].

والأمثلة من حياته صَلى الله عليه وسلم كثيرة، ننصح بقراءة سيرته.

* نبي الله يوسف عليه السلام:

كانت قصته مع إخوته أنموذجًا رائعًا لسلامة الصدر، فبعد أن أَلقوه في الجُب، وفرَّقوا بينه وبين أبيه، ودخوله السجن، إلى غير ذلك مما هو معروف – مكَّن الله له، وجعله على خزائن مصر، فلما تردَّدوا عليه وعرفوه، قالوا: {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ} [يوسف: 91]، فما كان منه إلا أن قَال: {لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: 92]، ما حمل غلًّا! ثم لما جاء أبوه مع إخوته، {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف: 100].

فلم يقل: أخرجني من الجب؛ لكيلا يُخجلهم، (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)، ولم يقل: رفع عنكم الجوع والحاجة حفظًا للأدب معهم، (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي)، فأضاف ما جرى إلى السبب، ولم يُضفه إلى المباشر (إخوته).

---

[297] – أخرجه مسلم: (كتاب الجهاد والسير – باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين – ح (111)، 3/ 1420 – 1421)، وأخرجه البخاري: (كتاب بدء الخلق – باب إذا قال أحدكم "آمين" والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفر له ما تقدم من ذنبه – ح (3231)، (6/ 360 فتح).

[298] – أخرجه البخاري (3477) و(6929).

[299] – المصنف في الدلائل 5/ 57، 58)، والبيهقي في دلائل النبوة (58/5).

* ثم تأمل معي موقف الصِّدِّيق – رضي الله عنه – مع مِسطح بن أثاثة، إذ كان الصديق ينفق على مسطح، فلما كانت حادثة الإفك، كان مسطح ممن خاضوا فيها، فأقسَم الصديق ألا ينفق على مسطح، فأنزل الله قوله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: 22].

فما كان من الصديق إلا أن أعاد النفقة على مِسطح.

* وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه في أَوْج انتصاراته – وهو قائد الجيش – يأتيه خبر عزل الفاروق له، فما تكلَّم بما يدل على سخطه، ولا ترك ساحات القتال، بل ظل مجاهدًا بوصفه جنديًّا من جند المسلمين بعد أن كان قائدهم.

* أما عُلبة بن زيد، فإنه لَما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى النفقة ولم يجد ما يُنفقه، بكى وقال: "اللهم إنه ليس عندي ما أَتصدَّق به، اللهم إني أتصدَّق على كل مسلم بكل مَظلمة أصابني فيها من مالٍ أو جسدٍ، أو عرضٍ، ثم أصبَح مع الناس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أين المتصدق بعِرضه البارحة؟"، فقام عُلبة رَضي الله عنه، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: "أبشِر، فوالذي نفسُ محمد بيده، لقد كُتبت في الزكاة المتقبَّلة"[300].

وانظُر إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يُضرَب ويُعذَّب على يد المعتصم، وحين أخذوه لمعالجته بعد وفاة المعتصم، وأحسَّ بألمٍ في جسده، قال: "اللهم اغفِر للمعتصم".

---

[300] – أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (262/6، رقم 8084)، ضعيف: في سنده عبد المجيد بن أبي عبس، قال أبو حاتم: لين، وأبوه لم أجد له ترجمة.

## الكنز السابع والعشرون: التهجد

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلًا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهمُ، ولا يحده الفكر تمثيلًا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيمًا مقتدرًا جليلًا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولًا، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، فصلُّوا عليه وسلموا تسليمًا، وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه وتمسَّك بسنته، واقتدى بهَدْيه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ ثم أما بعد:

فصلاة التهجد هي مِن ضمن صلاة القيام التي شرعها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها؛ حيث قام ليلةً بأصحابه حتى خشوا أن يفوتهم السحور، وكما سمعتم أنه كان إذا دخل العشر جدَّ وشدَّ المئزر، وأحيا ليله، فينبغي على العاقل الرشيد الناصح لنفسه أن يَحرص على تعهُّد صلاة التراويح والقيام مع المسلمين.

### الجوهرة الأولى: المباهاة الربانية ولك ما سألت:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقده، وإذا وضأ وجهه انحلَّت عقده، وإذا مسح رأسه انحلت عقده، وإذا وضأ رجليه انحلت عقده، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه يسألني, ما سألني عبدي هذا فهو له"؛ رواه أحمد وابن حبان[301].

فهذه عُقدٌ أربع تنحلُّ عن المسلم بالوضوء، فبغسل اليدين تنحلُّ عُقدة، وبغسل الوجه تنحلُّ عُقدة، وبمسح الرأس تنحلُّ عُقدة، وبغسل الرِّجلَين تنحلُّ عُقدة، وهي عُقدٌ حقيقيَّة يعقدها الشيطان على الإنسان؛ ليُثبطه عن الخير، ويَثنيه عن القيام إلى طاعة الله.

---

[301] – أحمد 4/ 201، وابن حبان (2556)، والطبراني في "الكبير " (843). وهو حديث حسن لغيره كما في " صحيح الترغيب" (631).

### الجوهرة الثانية: ساعة تُجاب فيها الدعوات:

للدعاء أوقات تُرجى فيها الإجابة أكثر من غيرها، ينبغي للمسلم الحرص على اغتنامها، والإكثار فيها من الدعاء، فمن ذلك: وقت السجود؛ حيث المسلم أقرب ما يكون من ربه، وما بين الأذان والإقامة؛ حيث يكون المسلم في انتظار الصلاة، وعند ملاقاة الأعداء في الحرب، وفي آخر الليل؛ حيث ينزل ربنا عز وجل فيه كل ليلة؛ عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من خير الدنيا والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة"؛ رواه مسلم [302].

### الجوهرة الثالثة: شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن:

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، انجفل الناس[303] إليه، فكنت فيمن جاءه، فلما تأمَّلت وجهه واسْتَبَنْتُه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، قال: فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: "أيها الناس، أفشُوا السلام، وأطعِموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"[304].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرَّت عيني، أَنبئني عن كل شيء، قال: "كل شيء خُلق من الماء"، فقلت: أخبرني بشيء إذا عمِلته دخلت الجنة، قال: "أطعم الطعام، وأفشِ السلام، وصِل الأرحام، وصلِّ بالليل والناس نيام، تدخل الجنة بسلام"؛ رواه أحمد وابن حبان، والحاكم وصحح إسناده[305].

---

[302] -- مسلم (757) في صلاة المسافرين: باب في الليل ساعة يستجاب فيها الدعاء، وأحمد 3/ 313 و331 و348، وابن حبان (2772) " الإحسان "، وابن خزيمة (1738)، وأبو يعلى (1911).

[303] قوله " انجفل الناس " بالجيم، أي: ذهبوا إليه بأجمعهم مسرعين. وقوله: "استثبته"؛ أي: تحققته وتبينته.

[304] -- الترمذي (2 487) في صفة القيامة: باب رقم (43)، وأحمد 5/ 451، وابن ماجه (1334) و(3251)، والدارمي (2635)، وصححه الحاكم 3/ 13، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، والحديث في " صحيح الترغيب " (616).

[305] - أحمد 2/ 295 و323 و493، وأبو نعيم في (الحلية " 9/ 59، وصححه ابن حبان (08 5) و(559 2)، والحاكم 4/ 129 و160، ووافقه الذهبي؛ انظر: "المجمع 51/ 16. والحديث في " ضعيف الترغيب " (354).

✍الجوهرة الرابعة: غرف يرى ظاهرها من باطنها:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام"؛ رواه ابن حبان[306].

✍الجوهرة الخامسة: دخول الجنة بغير حساب:

خرَّج البيهقي في الشُّعب بإسناده عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يُحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة، فينادي مناد، فيقول: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب"[307].

✍الجوهرة السادسة: خيول من ذهب:

خرَّج ابن أبي الدنيا في "كتاب التهجد" بإسناده عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الجنة لشجرة يَخرُج من أعلاها حللٌ، ومن أسفلها خيلٌ من ذهب، مُسرجة ملجمة من درٍّ وياقوت، لا تَروث ولا تَبول، لها أجنحة خطوها مدُّ البصر، فيركبها أهل الجنة، فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم درجةً: يا رب، بِمَ بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ قال: فيقال لهم: كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تَجبُنون"[308].

---

(306) – أحمد 5/ 343، والطبراني في " الكبير " (3466)، والبيهقي 4/ 0 30، والبغوي في " شرح السنة" (927)، وابن حبان (509)، " الإحسان". والحديث صحيح لغيره كما في " صحيح الترغيب " (618).

(307) – البيهقي في " الشعب " (3244)، وابن أبي الدنيا في "التهجد" (341)، وهناد في " الزهد " (176)، والحديث في "ضعيف الترغيب " (356).

(308) –– " التهجد" لابن أبي الدنيا (330) مرسلًا، وأخرجه أبو الشيخ في " العظمة " 3/ (1089)، والخطيب في " تاريخه " 1/ 267، وابن الجوزي في " الموضوعات "3/ 255، والحديث في " ضعيف الترغيب " (355).

✍الجوهرة السابعة: أن تُكتَب في ديوان الذاكرين الله كثيرًا:

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استيقظ من الليل وأيقَظ أهله، فصلَّيَا ركعتين جميعًا، كُتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات"؛ رواه أبو داود والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم [309].

✍الجوهرة الثامنة: الفوز بالرحمة الربانية:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلَّت، فإن أبت نضَح في وجهها الماء، رحِم الله امرأة قامت من الليل فصلَّت، وأيقظت زوجها، فإن أبى نضَحت في وجهه الماء"[310].

✍الجوهرة التاسعة: القرب من الله تعالى:

اعلَم يا عبد الله أن هذا الوقت هو أشرف الأوقات؛ حيث ينزل ربُّ العالمين إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل نزولًا يليق بجلاله، والنزول من صفاته الفعلية التي يفعلها إذا شاء، وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أقرب ما يكون الرب جل جلاله من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة، فكُن"؛ رواه ابن خزيمة والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح [311].

✍الجوهرة العاشرة: فرح الله تعالى بالمتهجدين:

يكفيك – بارك الله فيك – إذا كنتَ ممن يقيم الليل أن يُحبك الله، ويضحك إليك، ويَستبشر بك، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة يُحبهم الله ويضحك

---

[309] – أبو داود (1309) في الصلاة: باب قيام الليل، و(1451) باب الحث على قيام الليل، والنسائي في " الكبرى " (1310)، وابن ماجه (1335)، والطبراني في " الأوسط " (2989)، وفي" الصغير " (248)، وابن أبي الدنيا في " التهجد" (426)، وأبو يعلى (1112). والحديث في" صحيح الترغيب " (626).

[310] – أبو داود (1450) في كتاب الصلاة: باب قيام الليل، والنسائي 3/ 205، وابن ماجه (1336)، وأحمد 2/ 25 0 و436، والبيهقي 2/ 501، وابن خزيمة (1148)، وابن حبان (2567)، والحاكم 1/ 309، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والحديث حسن كما في " صحيح الترغيب " (625).

[311] – ابن خزيمة (1147)، والترمذي (3579)، في كتاب الدعوات، باب (119)، وأخرجه مسلم (832) في صلاة المسافرين: باب إسلام عمرو بن عبسة مطولًا، والحديث في " صحيح الترغيب "(628).

إليهم ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئة قاتَل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يُقتَل، وإما أن ينصره الله ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبرَ لي بنفسه، والذي له امرأة حسناء وفراش ليّن حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذر شهوته ويذكرني، ولو شاء رقَد، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب، فسهِروا ثم هجَعوا، فقام من السحر في ضرَّاء وسرَّاء"؛ رواه الطبراني بإسناد حسن[312].

✍الجوهرة الحادية عشرة: عجب الله من المتهجدين:

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "عجِب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه[313] ولحافه من بين أهله وحبِّه[314] إلى صلاته، فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه، فعلِم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى يُهريق [315] دمه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي وشفقةً مما عندي حتى يُهريق دمه"[316].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: مكتوب في التوراة لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ولا يعلمه ملك مُقرب، ولا نبي مرسل؛ قال: ونحن نقرؤها: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17]؛ رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

قال يوسف بن مهران: بلغني أن تحت العرش ملكًا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ، وصيصيته [317] من زَبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأول، ضرب بجناحه وزَقَا، وقال: ليقم القائمون، فإذا مضى

---

[312] – قال الهيثمي في " المجمع " 2/ 255: رواه الطبراني في " الكبير" ورجاله ثقات. وصححه الحاكم 1/ 25، والحديث حسن كما في "صحيح الترغيب " (629).

[313] – الوطاء: الفراش.

[314] – الحب: الحبيب.

[315] – يهريق: لغة في: يريق.

[316] – أحمد 1/ 416، وأبو داود (2536) في الجهاد: باب في الرجل يشري نفسه، وأبو يعلى (5272)، والبيهقي 9/ 46، وابن أبي عاصم في " كتاب السنة" (569)، وصححه ابن حبان (2557، 2558)، والحاكم 2/ 112، والحديث حسن لغيره كما في " صحيح الترغيب " (630).

[317] – صيصيته: أعلى رأسه، وجمعها صياصي.

نصف الليل ضرب بجناحه وزَقَا، وقال: ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب، وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب، وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارُهم [318].

[318] – أوزارهم: ذنوبهم.

# الكنز الثامن والعشرون: العُمْرةُ في رمضان

الحمد لله الذي هدى أولياءَه لدين الإسلام، ووفَّقهم لزيارة بيته الحرام، وخصَّهم بالشوق إلى تلك المشاعر العظام، وحطَّ عن وفده جميعَ الأوزار والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الْمَلِكُ الحقُّ السلام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خيرُ مُعلِّمٍ وإمام، اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البَرَرة الكرام، وسلِّم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فإخوة الإسلام، نعيش هذا اللقاء مع كنز من الكنوز التي أهداها إلينا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو كنز العمرة في رمضان، والمعلوم من الدِّينِ بالضرورةِ أنَّ مِن أركانِ الإسلام: حجَّ بيت الله الحرام، والعُمْرةُ هي الحجُّ الأصغر عند جمهور أهل العلم، وللعُمْرةِ عُمومًا وفي رمضانَ خُصوصًا فضائِلُها الْعظيمةُ، ومكانتُها الشريفة التي بيَّنها نبيُّ الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ.

هيَّا لنتعرف على جواهر العمرة وفضلها:

## الجوهرة الأولى: العمرة في رمضان تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فعنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قالَ: (لَمَّا رَجَعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ حَجَّتِهِ، قالَ لأُمِّ سِنَانٍ الأنصاريَّةِ: ما مَنَعَكِ مِنَ الْحَجِّ، قالتْ: أبُو فُلانٍ، تَعْني زَوْجَها، كانَ لهُ ناضِحَانِ حَجَّ على أحَدِهِما، والآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنا، قالَ صلى الله عليه وسلم: فإنَّ عُمْرَةً في رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي)؛ رواه البخاري، وفي روايةٍ: (فَعُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً أوْ حَجَّةً مَعِي)؛ رواه مسلم[319].

عنْ أبي طَلِيقٍ قالَ: طَلَبَتْ مِنِّي أُمُّ طَلِيقٍ جَمَلًا تَحُجُّ عليهِ، قالَ: فَأَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: فقالتْ: أَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلامُ وأَخْبِرْهُ، قُلتُ: إنها تُقْرِئُكَ السلامَ وتَسأَلُكَ: ما يَعْدِلُ الحَجَّ مَعَكَ؟ قالَ: فأَقْرِئْها مِنِّي السلامَ، وأَعْلِمْها أنَّ الحَجَّ يَعْدِلُ عَمْرَةً في رَمَضَانَ) [320].

---

[319] – أخرجه البخاري (603/3)، ومسلم (1256)، والناضح: البعير يستقى عليه الماء، ومعنى: ((تقضي حجة))؛ أي: تعدلها في الثواب؛ كما في الرواية الأخرى، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض.

[320] –«المعجم الكبير للطبراني» (25/ 173) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (7/ 192):«وهذا إسناد جيد؛ كما قال الحافظ في " الإصابة"، وعزاه لابن أبي شيبة أيضًا، والبغوي، وابن السكن، وابن منده، وعزاه في "المطالب " (1/ 320) لأبي يعلى؛ يعني: في "المسند الكبير"، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (22/ 816/324 و25 /425/173».

عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: أَرَادَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الحَجَّ، فقالتْ امْرَأَةٌ لزَوْجِها: أَحِجَّنِي معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم على جَمَلِكَ، فقالَ: ما عِنْدِي ما أُحِجُّكِ عليهِ، قالتْ: أَحِجَّنِي على جَمَلِكَ فُلانٍ، قالَ: ذاكَ حَبيسٌ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فأتى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالَ: إنَّ امْرَأَتِي تَقْرَأُ عليكَ السلامَ ورحْمَةَ اللهِ، وإنها سَأَلتني الحَجَّ مَعَكَ، قالتْ: أَحِجَّنِي معَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقُلْتُ: ما عِنْدِي ما أُحِجُّكِ عليهِ، فقالتْ أَحِجَّنِي على جَمَلِكَ فُلانٍ، فقُلْتُ: ذاكَ حَبيسٌ في سبيلِ اللهِ، فقالَ: «أَما إنكَ لوْ أَحْجَجْتَها عليهِ كانَ في سبيلِ اللهِ؟»، قالَ: وإنها أَمَرَتْنِي أنْ أسأَلَكَ ما يَعْدِلُ حَجَّةً مَعَكَ، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَقْرِئْها السلامَ ورَحْمَةَ اللهِ وبَرَكاتِهِ، وأَخْبِرْها أنها تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي»؛ يَعْنِي عُمْرَةً في رمَضانَ)[321].

وجاءَتِ امرأَةٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقالتْ: إني كُنْتُ تَجَهَّزْتُ للْحَجِّ فاعْتَرَضَ لي، فقالَ لَها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «اعْتَمِرِي فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ كَحِجَّةٍ»)؛ رواه مالكٌ وقال ابن عبدالبر: (الحديثُ صحيحٌ مشهورٌ، وفيهِ مِن الفِقْهِ أنَّ شهرَ رمضانَ مما يُضاعفُ فيه عَمَلُ البِرِّ، وذلك دليلٌ على عظيم فضلِه) [322].

الجوهرة الثانية: مغفرة الذنوب نافية للفقر:

فهيَ مِن مُكفِّراتِ الذنوب؛ قال صلى الله عليه وسلم: (العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِما بيْنَهُما)[323]، وهيَ تُذهبُ الفَقْرَ والذُّنوب، قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (تابعُوا بينَ الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنهُما يَنفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنوبَ، كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ) [324].

---

[321] – رواه أبو داود رقم (1990) في المناسك، باب العمرة، وإسناده حسن، والحاكم (1/183 . 184)، والبيهقي (6/164) والطبراني في " المعجم الكبير " (3/2/181).

[322] – وأخرجه الحميدي (870)، والنسائي في "الكبرى" (4224)، والطبراني في "الكبير" 22/ (735)، وأخرجه أبو داود (1989)، والدارمي 2/ 51 – 52، وابن خزيمة (2376).

[323] –أخرجه البخاري (1773)، ومسلم (1349).

[324] – أخرجه أحمد (167)، وابن ماجه (2887)، وأبو يعلى (198)، والحميدي (17).

الجوهرة الثالثة: أن العمرة تَعدل الجهاد:

وهيَ أَحَدُ الْجِهادَيْنِ؛ (عن عائشةَ قالتْ: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، على النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قالَ: نَعَمْ، علَيْهِنَّ جِهادٌ لا قِتالَ فيهِ: الْحَجُّ والعُمْرَةُ)[325]، وقالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ: (شُدُّوا الرَّحِيلَ إلى الْحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنهُ أَحَدُ الْجِهَادَيْنِ)[326].

الجوهرة الرابعة: والْمُعْتَمِرونَ وَفْدُ اللهِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللهِ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ"[327].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"[328]، وقال ابنُ حجر: (مَن أَتى هذا البَيْتَ، وهُوَ يَشْمَلُ الْحَجَّ والعُمْرَةَ)؛ انتهى.

وأمَّا حُكمُ العُمرة:

قال الإمامُ البخاري: (بابُ العُمْرَةِ: وُجُوبُ العُمْرَةِ وفضْلُها، وقالَ ابنُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما: لَيْسَ أَحَدٌ إلا وعليهِ حَجَّةٌ وعُمْرَةٌ، وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما: إنها لَقَرِينَتُها في كِتابِ اللهِ: {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: 196][329]؛ انتهى.

---

[325] – «مسند أحمد» (42/ 198 ط الرسالة) «وأخرجه ابن أبي شيبة ص 76 – 77 (نشرة العمروي)، وابن ماجه (2901)، والفاكهي في "أخبار مكة" (791)، وابن خزيمة (3074)، وابن أبي داود في "المصاحف" ص 101، والدارقطني 2/ 284».

[326] – أخرجه: عبد الرزاق في «المصنف» (8808)، وذكره البخاري في «صحيحه» (2/ 163) تعليقًا.

[327] –ابن ماجه، برقم 2893، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، 2/ 149، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم 182، 4/ 433.

[328] – أخرجه مسلم في كتاب الحج – باب فضل الحجّ والعُمرة ويوم عرفة (2/ 983، ح 438).

[329] – «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (12/ 208):«الشافعي في "الأم" 2/ 113، "سنن البيهقي" 4/ 351، "المستدرك" 1/ 471، "المحلى" 7/ 38».

وقال جبريلُ: (يا محمدُ، ما الإسلامُ؟ قالَ: الإسلامُ أنْ تَشهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وأنْ تُقِيمَ الصلاةَ، وتُؤْتِيَ الزكاةَ، وتَحُجَّ وتَعْتَمِرَ، وتَغْتسلَ مِنَ الجَنابةِ، وتُتِمَّ الوُضُوءَ، وتصُومَ رمَضَانَ، قالَ: فإنْ فَعَلْتُ هذا فأنا مُسلمٌ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: صَدَقْتَ)[330]؛ الحديثُ رواه الدار قطني، وقال: (إسنادٌ ثابتٌ صحيحٌ).

[330] –أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (1/ 38) الحديث رقم: (8).

## الكنز التاسع والعشرون: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

لحمد لله الذي شرَّف قدر سيدنا محمد الرسول الكريم، وخصَّنا بالصلاة عليه، وأمرنا بذلك في القرآن الحكيم، ومنَّ علينا باتباع هذا النبي الرحيم، وحبَّب إلينا اقتفاء آثاره في القديم والحديث، وخصَّ أهل هذا الشأن – أصحاب الحديث – بالخصال الجميلة والفضل الجسيم، وجعلهم أَولَى الناس برسوله السيد العظيم؛ لإكثارهم كتابة وقراءة وسماعًا من الصلاة والتسليم عليه، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه أولي الفضل العميم، صلاة وسلامًا دائمين يضيء نورهما جُنح الليل البهيم؛ أما بعد:

فيا عباد الله، خافوا الله واتَّقوه، وتأهَّبوا للقائه، واعملوا بطاعته، وانتهوا عن معصيته؛ بذلك أمركم ربكم، فقال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18]؛ أما بعد: فيا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا = فصلُّوا عليه بُكرةً وأَصيلا

ملئت بنبوَّته الوجود فأَظهرا بحسامه الدينَ الصحيح فأَسفرا

ومَن لم يُصلِّ عليه كان بخيلًا فصلُّوا عليه وسلِّموا تسليمَا

وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة الأكارم، حديثنا في هذا اللقاء عن كنز من أغلى وأثمن الكنوز؛ لأنه يحتوي على كثير من المجوهرات النادرة التي تجعل صاحبها يعيش عيشَ السُّعداء؛ لا همَّ ولا غم ولا كرب، بل انشراح للصدر، وسعة في الرزق ومغفرة للذنب، ورفعة للدرجة، وصلاة من الله تعالى، وكفى بها منزلةً ومكانة، إنه كنز الصلاة على حبيب الإله – جل في علاه – صلى الله عليه وسلم.

### الأول: معنى الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم:

قال الحليمي في الشعب: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه، فمعنى قولنا: اللهم صلِّ على محمد: عظِّم محمدًا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته، وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: {صَلُّوا عَلَيْهِ} [الأحزاب: 56]: ادعوا ربكم بالصلاة عليه؛ انتهى.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قال الحليمي: المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله بامتثال أمره، وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا.

وتبِعه ابن عبد السلام، فقال: ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعةً له صلى الله عليه وسلم، فإن مثلنا لا يشفع لمثله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا، فإن عجَزنا عنها كافأناه بالدعاء، فأرشدنا الله لَما علِم عجزنا عن مكافأة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تَرجع إلى الذي يصلي عليه، لدلالة ذلك على نصوع العقيدة وخلوص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم؛ انتهى [331].

## جواهر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

### الجوهرة الأولى: تكفير الخطايا:

من فضائلها: كفَّارة الذنوب، وتزكية الأعمال، ورفع الدرجات؛ عن أبي بردة بن نِيار رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ صَلّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ، وحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، ورَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ» [332].

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ رضيَ الله عنهُ، قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «أَجَلْ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاةً كَتَبَ الله لَهُ بِها عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا» [333].

الله أكبر ولله الحمد، ما أعظم فضل الله، وطيب عطائه! بصلاة واحدة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، تتحصل على كل هذه الهبات العظيمة، ومعنى قوله: ((وردَّ عليه مثلها)) أن الله سبحانه

---

[331] – «فتح الباري» لابن حجر (11/ 168 ط السلفية).

[332] – قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب الأدعية، (10/ 182): رواه البزار ورجاله ثقات.

[333] – «صحيح الترغيب والترهيب» (2/ 291) «ورواه الحاكم أيضًا (2/ 420 – 421)، وقال: "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي».

يصلي على عبده فيرحمه، ويضاعف أجره، أو يثني عليه ثناءً عظيمًا، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسوله، جازاه بمثل عمله بأن يثنيَ عليه، فيا لها من بشارة ما أسناها!

أيها المباركون، هذه بعض الفضائل التي يتحصل عليها أهل الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهناك غير ذلك مما يعلمه الله، وقد جاء في الأخبار الصحيحة التحذيرُ والترهيب من الغفلة عن الصلاة والسلام على البشير النذير.

الجوهرة الثانية: كفاية الهموم ومغفرة الذنوب:

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ  يَا رَبِّ عَطِّرْ بِالصَّلَاةِ لِسَانِي
وَأَزِلْ بِهَا هَمِّي وفَرِّجْ كُرْبَتِي  حَرِّمْ بِهَا جَسَدِي عَلَى النِّيرَانِ

عَنْ أُبَيّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا الله اذْكُرُوا الله جَاءَتْ الرَاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فقَالَ «مَا شِئْتَ»، قال: قُلْتُ الرُّبُعَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لك». قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلّهَا؟ قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»، قال: إذن يكفيك الله أمر دنياك وآخرتك»[334].

والمراد بالصلاة هنا الدعاء، وليس المراد الصلوات ذات الأذكار والأركان، فاشتغال الرجل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يكفي في قضاء حوائجه ومهماته، وفي هاتين الخصلتين – أي: كفاية الهمّ، ومغفرة الذنب – جماع خيري الدنيا والآخرة، فإنَّ من كفاه الله همَّه سلِم مِن مِحن الدنيا وعوارضها؛ لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم، وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه، سلِم من محن الآخرة؛ لأنه لا يُوبَق العبد فيها إلا بذنوبه.

إِذَا كُنْتَ فِي هَمٍّ وَضِقْتَ بِحَمْلِهِ  وَأَصْبَحْتَ مَهْمُومًا وَقَلْبُكَ فِي حَرَجْ
فَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  كَثِيرًا فَإِنَّ اللهَ يَأْتِيكَ بِالْفَرَجْ

---

[334] – أخرجه أحمد (136/5، رقم 21279)، وعبد بن حميد (ص 89، رقم 170)، والترمذي (636/4، رقم 2457)، والحاكم (457/2، رقم 3578)، والبيهقي في شعب الإيمان (187/2، رقم 1499)، والضياء (389/3، رقم 1185).

الجوهرة الثالثة: أنها سببٌ لنيل شفاعته صلى الله عليه وسلم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضيَ الله عنهُما، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ»؛ مسلم (335).

عن أبي الدرداء رضيَ الله عنهُ، قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وحِينَ يُمْسِي عَشْرًا، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» (336).

الجوهرة الرابعة: أنها سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عمَّار بن ياسر رضيَ الله عنهُ، قَالَ: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الخَلاَئِقِ، فَلا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، إِلاَّ أبلغني باسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ هاذا فُلانُ بنُ فُلانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ»؛ رواه البزار (337).

عن الحسن بن علي رضيَ الله عنهُما أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلمقال: «حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغَنِي» (338).

عن أبي هريرة رضيَ الله عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ» (339).

عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ الله عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله عَزَّ وَجَلَّ ملائكةً سَيَّاحِين في الأرض يُبَلِّغوني من أُمَّتي السلام»؛ صحيح (340).

---

(335) – وأخرجه مسلم (384)، وأبو داود (523)، والنسائي في "المجتبى" 2/ 25 – 26، وفي "عمل اليوم والليلة" (45). وهو في "المسند" (6568)، و"صحيح ابن حبان" (1690 – 1692).

(336) – أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (120/10) قال الهيثمى رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا.

(337) – أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (162/10) قال الهيثمى: فيه نعيم بن ضمضم ضعيف وابن الحميرى اسمه عمران؛ قال البخاري لا يتابع على حديثه، وقال صاحب الميزان: لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(338) – أخرجه أبو داود (1 / 319)، وأحمد (2 / 367).

(339) – أخرجه أبو داود (218/2، رقم 2041)، والبيهقي (245/5، رقم 10050).

الجوهرة الخامسة: من فضائلها أنها دليل إلى الجنة:

عن الحسين بن علي رضيَ الله عنهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئ الصَّلاةَ عَليَّ خَطِئ طَرِيقَ الجَنَّةِ»؛ رواه الطبراني [341].

الجوهرة السادسة: من فضائلها أنها سبب في إجابة الدعاء:

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلمقَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ»، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ» [342].

* عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضيَ الله عنهُ، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّي عَلَى نَبِيِّكَ صلى الله عليه وسلم» [343].

الجوهرة السابعة: من فضائلها انتفاء الوصف بالبخل والجفاء:

عَن عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رضيَ الله عنهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» [344].

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أبخل الناس مَنْ ذُكِرتُ عنده، فلم يُصلِّ عليَّ صلى الله عليه وسلم» [345].

---

[340] – صحيح، أخرجه أحمد (4210)، والنسائي (3/ 43)، والحاكم (2/ 421)، وابن حبان (914)، وأبو يعلى (5213)، والطبراني (10529)، والدارمي (2/ 317)، والبزار (845/ كشف)، وأبو نعيم في الحلية (4/ 200)، والبغوي (687)، وإسماعيل القاضي (21)، وعبد الرزاق (3116).

[341] – المعجم الكبير (2887)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (6245).

[342] – أخرجه الطبراني في "الكبير" 18/ (792) و(794).

[343] – أخرجه الترمذي في "سننه" (486).

[344] – رواه الترمذي (2 / 271) وأحمد (1 / 201)

[345] – رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» (ص 43). وصححه الألباني بشواهده، انظر حاشيته على الكتاب المذكور (ص 43).

فالبخيل الكامل في البخل مَن سمِع اسم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلِّ عليه، نعم هو بخيل؛ لأنه بخل على نفسه؛ حيث حرَمها صلاة الله عليه عشرًا إذا هو صلى واحدة؛ قال الإمام الفاكهاني: "وهذا أقبحُ بخلٍ، وأشنعُ شُحٍّ لم يَبقَ بعده إلا الشحُّ بكلمة الشهادة".

✍الجوهرة الثامنة: من فضائلها أنها تقوم مقام الصدقة للمعسر:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مالًا مِنْ حلالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسَهُ وَكَساها، فَمَنْ دُونَهُ مِنْ خَلْقِ الله لَهُ زَكاةٌ، أَيّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ صَدَقَةٌ فَلْيَقُلْ فِي دُعائِهِ: اللهمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسولِكَ، وَصَلِّ على الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ، فَإِنَّها لَهُ زَكاةٌ»، وقال: «لا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ خَيْرًا حَتّى يَكونَ مُنْتهاهُ الْجَنَّة»؛ رواه الحاكم وصحَّحه، ووافقه الذهبي [346].

✍الجوهرة التاسعة: أن فاعلها أولى الناس به صلى الله عليه وسلم:

عن عَبْدِ الله بنِ مسعودٍ رضيَ الله عنهُ أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «أَوْلَى النَّاسِ بي يومَ القِيامةِ أَكثرُهُمْ عليَّ صلاةً» [347].

ومعنى ذلك أن المكثرين من الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وأولاهم بشفاعته، وأحقهم بالإفاضة من أنواع الخيرات ودفع المكروهات؛ قال الإمام ابن حبان في صحيحه في معنى ((أولى الناس بي)): "أي: أقربهم منه في القيامة، قال: وفيه بيان أن أولاهم به صلى الله عليه وسلم فيه أصحاب الحديث؛ إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم"[348].

✍الجوهرة العاشرة: سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه:

عن عبد الرحمن بن سمرة رضيَ الله عنهُ في حديثه الطويل عن رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم – أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «.. وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَى الصِّرَاط مَرَّةً وَيَجْثُو

---

[346] – رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص – كتاب الأطعمة – (4/ 144).

[347] – أخرجه: الترمذي (484)، وقال: «حديث حسن غريب».

[348] – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (3/ 193)، رقم (911).

مَرَّةً، وَيَتَعَلَّقُ مَرَّةً، فَجَاءَتْهُ صَلاَتُهُ عَلَيَّ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقَامَتْهُ عَلى الصِّرَاطِ حَتَّى جَاوَزَ.. »؛ رواه الطبراني [349].

الجوهرة الحادية عشرة: أنها طُهرة من لغو المجلس:

عن أبي أمامة رضيَ الله عنهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا، ثُمَّ قَامُوا مِنْهُ لَمْ يَذْكُرُوا الله، ولَمْ يُصَلُّوا عَلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِلاَّ كَانَ ذَلِكَ المَجْلِسُ عَلَيْهِمْ تِرَةً»؛ أخرجه أحمد [350].

فكيف نُصلي عليك؟

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أُهدي لك هديَّة؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: قد عرَفنا كيف نسلِّم عليك، فكيف نصلِّي عليك؟ قال: «قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارِك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد»[351].

---

[349] – قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد – كتاب التعبير – باب فيما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، (7/ 256): رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي، وكلاهما ضعيف؛ قال ابن قيم الجوزية: رواه أبو موسى المديني، وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب، وقال: هاذا حديث حسن جدًّا»؛ انظر جلاء الأفهام: (ص 235)، ط مكتبة نزار الباز.

[350] – أخرجه الحاكم (1/735، رقم 2017) وقال: صحيح على شرط البخاري.

[351] – البخاري – الفتح (1/ 6357)، ومسلم (406).

# الكنز الثلاثون: المواظبة على السنن

الحمد لله الذي تفرَّد بعز كبريائه عن إدراك البصائر، وتقدَّس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحَّد بكمال جبروته، فالعقل في تعظيمه حائر، وتفرَّد في ملكوته فهو الواحد القهار، الأول قبل كل أول، الآخر بعد كل آخر، الظاهر بما أبدع، فدليل وجوده ظاهر، الباطن فلا يخفى عليه ما هجَس في الضمائر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلى يوم لقائه.

يا حبيبَ القلب ما لي سواك = فارحَم اليوم مذنبًا أتاكا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وحبيبه، اختاره من أطيب العناصر، واصطفاه من أنجب العشائر، واختصَّه من أشرف الذخائر، وأدار على مَن عاده أفظع الدوائر.

يا سيدي يا رسول الله:

ربَّاك ربُّك جلَّ مَن ربَّاك ورعاك في كنفِ الهدى وحماك

سبحانَه أعطاك فيضَ فضائل لم يُعطها في العالمين سواك

وعلى آله وأصحابه، ومَن سار على نهجه وتمسَّك بسنته، واقتدى بهَدْيه، واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

اعلَم – علَّمني الله وإياك – أن منزلة السنن في الإسلام منزلةٌ عظيمة، وهي إن لم تكن واجبة، فإن الشارع الحكيم عدَّد فوائدها في الدنيا والآخرة، وحثَّ على اتباعها، وهاك بيان ذلك:

### أولًا: تعويض النقص في أداء الواجبات:

اعلم أن النقص إما أن يكون بالتهاون في الأداء، أو بعدم الإتقان كما يجب، ومن رحمة الله بعباده أن جعله يُكمل بعض النقص في الفرائض والواجبات بالأعمال التطوعية، ويدل على ذلك أن أبا هريرة

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن أساء فقد خاب وخسِر»[352].

ولا شك يا عبد الله أن المؤمن رغم ما يقوم به من امتثال للأوامر واجتناب للنواهي، فإنه يخاف ألا يُقبل منه عملُه، فيسارع في الخيرات، ويُكثر من الطاعات؛ يقول سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون: 57-61].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: 60]، أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَلَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ»[353].

### ثانيًا: أنها تكفر الذنوب والمعاصي:

اعلم يا مَن لا تبالي بترك السنة أن السنن تكفِّر عنك الذنوب والمعاصي، وترفع درجتك؛ قال النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "يَا مُعَاذُ، وَقَدْ قَالَ: وَكِيعٌ بِآخِرِهِ: «يَا أَبَا ذَرٍّ: أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ خُلُقًا حَسَنًا»[354].

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: 114]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِي هَذَا؟ قال: (لجميع أمتي كلهم)[355].

---

[352] أخرجه أحمد (7902)، وابن ماجه (1425)، والنسائي 1/ 233، وأبو داود (864)، والحاكم 1/ 262، والبخاري في التاريخ 2/ 34، والترمذي (413)، والبيهقي 2/ 386، وابن نصر في تعظيم الصلاة (181).

[353] المسند 6/ 159، ومن طريق مالك بن مغول أخرجه ابن ماجه 2/ 1404 (4198)، والترمذي 5/ 306 (3175).

[354] أخرجه أحمد (153/5، رقم 21392)، والترمذي (355/4، رقم 1987)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (415/2، رقم 2791)، والحاكم (121/1، رقم 178).

[355] متفق عليه، أخرجه: البخاري في الصحيح 2/ 8، كتاب مواقيت الصلاة (9)، باب الصلاة كفَّارة (4)، الحديث (526). ومسلم في الصحيح 4/ 2116، كتاب التوبة (49)، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114].

ثالثًا: أنها تحصِّن العبد من الوقوع في المحظورات تنجيةً من المهالك والكربات:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»[356].

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمُرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ»[357]؛ قال المناوي «هذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله».

قال علي رضي الله عنه: «لا يُزهدك في المعروف كفرُ مَن كفَر، فقد يشكر الشاكر أضعاف جحود الكافر».

قال الماوردي: «فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجِّله حذرًا من فوته، ويبادر به خيفةَ عجزه، ويعتقد أنه مِن فرص زمانه وغنائم إمكانه، ولا يُمهله ثقةً بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت، فأعقبت ندمًا، ومُعول على مكنة زالت، فأورثت خجلًا، ولو فطن لنوائب دهره وتحفَّظ من عواقب فكره، لكانت مغارمه مدحورة، ومغانمه محبورة، وقيل: من أضاع الفرصة عن وقتها، فليكن على ثقة من فوتها»[358].

واقرأ تلك القصة التي توضِّح أهميةَ صنائع المعروف التي حثنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم، هذه القصة حدثت منذ مائة سنة تقريبًا، وهي واقعية، وهذه القصة سُمعت في الإذاعة في ركن البادية من الإذاعة السعودية، وهي كالآتي:

يُذكر أن رجلًا يسمى ابن جدعان قال: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سمانًا، يكاد الربيع أن يفجر الحليب مِن ثديه، وكلما اقترب الحوار (ابن الناقة) من أمه درَّت عليه، وانهال الحليب منها لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفها، وتذكَّرت جارًا لي له بُنيَّات سبع، فقير

---

[356] أخرجه الطبراني (8/261، رقم 8014)؛ قال الهيثمي (3/115): إسناده حسن.

[357] أخرجه الطبراني في الأوسط (6/163 رقم 6086) (صحيح)؛ انظر: حديث رقم: 3796 في صحيح الجامع، وما بين قوسين ضعيف عند الألباني؛ انظر ضعيف الجامع رقم: 3494.

[358] «فيض القدير» (4/ 206).

الحال، فقلت: والله لأتصدقنَّ بهذه الناقة وولدها لجاري، والله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92].

وأحب حلالي هذه الناقة؛ يقول: فأخذتها وابنها، وطرقت الباب على الجار، وقلت: خُذها هدية مني لك، فرأيتُ الفرح في وجهه لا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهره، وينتظر وليدها يَكبُر ليَبيعه، وجاءه منها خير عظيم، فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشقَّقت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء في الدحول، (والدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية أو أقبية مائية تحت الأرض، لها فتحات فوق الأرض يعرفها البدو)، يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أُحضر الماء لنشرب – (وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون) – فتاه تحت الأرض، ولم يعرف الخروج، وانتظر أبناؤه يومًا ويومين وثلاثة حتى يئسوا، فقالوا: لعل ثعبانًا لدغه ومات، أو لعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا (عياذًا بالله) ينتظرون هلاكه طمعًا في تقسيم المال والحلال، فذهبوا إلى البيت وقسَّموا، وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعِد الناقة خيرًا لك، وخُذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عَنوة الآن، ولن نعطيك شيئًا، قال: أشتكيكم إلى أبيكم، قالوا: اشتكِ إليه، فإنه قد مات!! قال: مات!! كيف مات؟ وأين مات؟ ولِمَ لم أعلم بذلك؟ قالوا: دخل دحلًا في الصحراء ولم يخرج، قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل، ثم خذوا الناقة، وافعلوا ما شئتم، ولا أُريد جملكم، فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفيُّ، ذهب وأحضر حبلًا، وأشعل شمعة، ثم ربط نفسه خارج الدحل، ونزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يزحف تجاه الأنين في الظلام، ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطين، ثم وقعت يده على الرجل، فوضع يده على أنفاسه، فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجرَّه، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، ومرَّس له التمر وسقاه، وحمله على ظهره، وجاء به إلى داره، ودبَّت الحياة في الرجل من جديد، (وأولاده لا يعلمون)، فقال: أخبرني بالله عليك، أسبوعًا كاملًا وأنت تحت الأرض ولم تمت! قال: سأحدِّثك حديثًا عجبًا: لَما نزلت ضعت، وتشعَّبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي، يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كلَّ مأخذ، وبينما أنا مُستلقٍ على قفاي، قد أسلمت وفوَّضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي،

يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي، فأشرب حتى أرتوي، ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع، ما أدري ما سبب انقطاعه؟ يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجَّبت، ظنَّ أولادك أنك مِتَّ، وجاؤوا إليَّ وسحبوا الناقة التي كان الله يَسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: 2، 3]، والجزاء من جنس العمل»[359].

رابعًا: من فوائد السنن الحصول على القرب من الله تعالى ومحبته وتسديده:

اسمع يا مَن لا تبالي بالسُّنة، وتتهاون في أدائها – إلى ثوابها عند الله عز وجل؛ يقول ابن رجب: الدرجة الثانية درجة السابقين المقرَّبين، وهي أن ترتقي المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدِّره ويقضيه، مما يؤلم النفوس من المصائب، وهذا فضل مستحب مندوب إليه، وفي (صحيح البخاري) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأعطينَّه، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأعيذنَّه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يكره الموت وأنا أكره مساءته)[360].

ويقول سبحانه وتعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر: 32].

يقول ابن كثير رحمه الله: «فمنهم ظالمٌ لنفسه، وهو المفرِّط في فعل بعض الواجبات، المرتكب بعضَ المحرَّمات، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرَّمات، وقد يترك بعض المستحبَّات، ويفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرَّمات والمكروهات، وبعض المباحات»[361].

---

[359] الجزاء من الجزاء من الجنس العمل (ج1) (ص:518–521).

[360] البخاري 11/ 340 (6502).

[361] «تفسير ابن كثير – ط العلمية» (6/ 484).

فانظر يا رعاك الله إلى ثوابها كما هو مفصَّل في سورة الواقعة؛ يقول سبحانه وتعالى: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة: 7 – 10].

وانظر إلى عظيم ثواب السنن والنوافل يا مَن لا تبالي بها؛ عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ»[362].

وذات يوم قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»، قَالَ الصِّدِّيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ عَلَى سَائِلٍ بِشَيْءٍ؟» قَالَ: قَالَ الصِّدِّيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ قَالَ: قَالَ الصِّدِّيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ شَيَّعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟»، قَالَ: قَالَ الصِّدِّيقُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ هَذِهِ الْخِصَالَ إِلَّا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[363].

✍خامسًا: المحافظة على السنن تُعين على المحافظة على الفرائض، والتنزه عن المكروهات يؤدي إلى ترك المحرمات.

---

[362] أخرجه الطيالسي (2561)، وأحمد (2/ 407 رقم 9274)، والترمذي (1425)، والنسائي في "الكبرى" (7248 و7249).

[363] أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (515) قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز، ومسلم (92/3)، و(110/7).